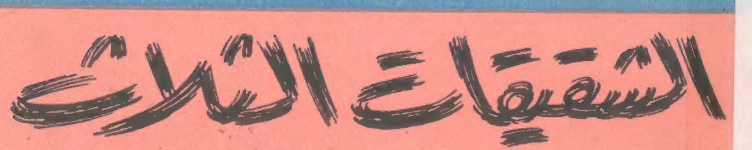
روائع المسرح العالمى

وزارة الثقافة
والإرشاد القومى
الإقليم الجنوبى
الإدارة العامة
للثقافة

تأليف
أنطون تشيكوف

ترجمة وتقديم
الدكتور على الراعى

مراجعة
الدكتور لويس عوض



روائع المسرح العالمى



THE THREE SISTERS

مأساة من أربعة فصول

تأليف

أنطون تشيخوف

Anton Tchekov

ترجمة وتقديم الدكتور على الراعى

مراجعة الدكتور لويس مرقس

وزارة الثقافة والإرشاد القومى

الإقليم الجنوبى

الإدارة العامة للثقافة

تقديم روائع المسرح

بقلم
ثروت عكاشة
وزير الثقافة والإرشاد القومي

يمرُّ المسرح اليوم فى مصر وفى غيرها من بلاد العالم بأزمة اختلفت الآراء فى تبيُّن أسبابها ، ولعل منافسة السينما والتلفزيون للمسرح من أهم أسباب هذه الأزمة .

على أن الآراء وإن اختلفت فى ذلك ، إلا أنها تُجمع على أثره الخطير فى الرقى بالفن والتربية الوجدانية للشعب .

وقد آمنت وزارة الثقافة والإرشاد القومى برسالة المسرح الجليلة ، فسعت إلى تشجيعه بمختلف الوسائل ، من تحويل دور السينما إلى مسارح ، وإعداد العــدة لإنشاء مسارح جديدة ، وتشجيع الفرق القائمة ، ثم هى قد استصدرت أخيراً قراراً جمهوريّاً بإنشاء مؤسسة فنون المسرح والموسيقى للتوسع فى هذا التشجيع ، ورعاية المسرح من جميع نواحيه .

ولا شك أن من خير وسائل هذا التشجيع ، أن تقدِّم الوزارة للمشتغلين فى هذا الميدان ، نماذج من روائع المسرح العالمى ؛ ولا تقتصر فائدة ذلك على المسرح ، بل تتعداه

إلى تزويد اللغة العربية بمادة جديدة لا تخلو منها لغة حية ، فضلا عما فى ترجمة هذه الروائع من تقديم صور من الثقافة العالمية الرفيعة لجمهور المثقفين فى مصر والعالم العربى .

وقد حرصت الوزارة على أن تصدّر كل مسرحية من هذه المسرحيات بمقدمة ، يتناول فيها كاتب متخصص ، مؤلفَ المسرحية ، ومذهبه فى المسرح ، وقيمة المسرحية فى ذاتها .

وإنى إذ أقدم للقراء باكورة هذه المسرحيات ؛ أرجو أن تكون بداية طريق التطور الذى نرجوه .

والله ولى التوفيق .

ثروت عكاشة

مسرح تشيخوف

بقلم
الدكتور على الراعى

من السهل علينا أن نسىء فهم مسرح تشيخوف ، فإن هذا المسرح قليل الحركة ، دقيق النسج ، حتى لتخطئ العين المتعجلة رؤية ما يجرى بداخله من أحداث ، وتعرض عنه فى شيء غير قليل من السخط ــ مثلما فعل « تولستوى » فى روسيا ، و « وليم آرتشر » فى انجلترا ــ أو تتأمله فى حيرة وتشكك ، كالذى لا يزال يفعله حتى الآن بعض قراء « تشيخوف » .

قال العملاق « تولستوى » لصديقه الناشر والكاتب « سوفورين » ، معلقاً على نشر مسرحية « طير البحر » : « إنها كلام فارغ : الكلمات فيها أكوام فوق أكوام ، بلا معنى ، ولا غاية » .

وهكذا وضع الفنان الكبير أصبعه على سر من أسرار « التكنيك » فى مسرح « تشيخوف » ، وعجز ، فى الوقت نفسه ، عن أن يجد لهذا السر معنى أو وظيفة !

ولم يكن تولستوى بدعاً بين الناس فى سوء تقديره للمسرحية . فقد انهال النقاد عليها تقطيعاً وتجريحاً ، وأيدهم فى هذا جمهور النظارة ، وبلغ من سوء استقبال هؤلاء لها ، أن اضطر « تشيخوف » إلى الهرب وراء الكواليس بعد الفصل الثانى ، ثم

عاد إلى موسكو فى اليوم التالى ، مغضباً كسير القلب[١] ، بعد أن أجمع الكل على أن المسرح الذى أحس به — يولد فى أعماقه — هو مسرح غريب غير مفهوم . وأضاف البعض : أنه ليس مسرحاً على الإطلاق .

ومما يزيد المسألة تعقيداً أن «تشيخوف» نفسه يبدى فى بعض المناسبات تشككاً واضحاً فى بعض مسرحياته — حتى الأربع الكبار منها . فهو يصف « الشقيقات الثلاث » مثلا ، بأنها : « ليست مسرحية ، وإنما شلة من الخيوط » ، ويضيف قائلا : « إن بها عدة أدوار ، وقد يعوق هذا التعدد حركتى ، فأجدنى مضطراً إلى الانصراف عنها فى النهاية » . قال «تشيخوف» هذا وهو لايزال يكتب المسرحية ، فلما انتهى منها وأرسلها إلى موسكو لتمثل عاد يقول : « إنها من التعقيد بحيث تشبه الرواية . والناس يقولون إن جوها انتحارى قتال » .

وقال «تشيخوف» كلاماً مشابهاً فى التعليق على آخر روائعه « بستان الكرز » قال : « أسوأ ما فيها أننى كتبتها خلال فترة طويلة — فترة طويلة جداً ، وليس دفعة واحدة . ولا مفر لهذا من أن يبدو فيها أحياناً شيء من التطويل » .

فالكل ، إذن ، نقاداً ، ونظارة ، يحسون ، إزاء مسرح

---

(١) حدث هـذا عند ما عرضت المسرحية لأول مرة فى المسرح الإمبراطورى بمدينة بيترسبورج عام ١٨٩٦ .

«تشيخوف» أنهم أمام شيء جديد لم يألفوه . وكان الكاتب نفسه لا يدرك تماماً مبلغ الأصالة والطرافة اللتين يقدمهما فى مسرحياته .

فشلة الخيوط التى يخشى أن يتوه فيها قلمه ، والأكوام فوق الأكوام من الألفاظ ، التى لاحظ تولستوى وجودهما ، و«التطويل» الذى يشكو منه «تشيخوف» هى بالضبط العناصر الفنية التى ابتكرها الكاتب لكى يعبر تعبيراً مجسداً عن شيء ثمين بالنسبة لمسرحه ، وبالنسبة للدراما المعاصرة بوجه عام ، ألا وهو « تحركات الروح » تلك التحركات التى قال «تشيخوف» فى معرض الحديث عنها : « إن الهدف الأكبر للإنسان ودرامته الكبرى تكمن فى تحركات روحه ، وليس فى حركاته الخارجية » .

وفى سبيل أن يعبر «تشيخوف» عن تحركات الروح ، ابتكر المسرح الذى يعطى الأهمية الكبرى للحركة الروحية للشخصيات ، ولا يلتفت إلى حركاتها الخارجية إلا بالقدر الذى يكفى للدلالة على طبيعة الحركة الروحية . وهو يصف هذا المسرح على لسان كونستانتين : الكاتب الشاب الذى يبحث فى مسرحية « طير البحر » ، عن شكل ومضمون جديدين للدراما بقوله : « على الإنسان أن يكتب دون أن يفكر فى شكل كتابته على الإطلاق ، بل يدع هذا الشكل يسيل تلقائياً من نبع روحه » .

فمسرح «تشيخوف» إذن يعنى بالتعبير عن الروح من خلال

حركات ظاهرية لأبطاله . ومعنى هذا من وجهة نظر «التكنيك» أنه مسرح يزاوج بين الواقعية والرمزية . وهذا هو سر الجمال والشاعرية اللتين تمتاز بهما مسرحيات «تشيخوف» ، كما أنه فى الوقت نفسه أحد مصادر الإعراض وسوء الفهم — أو العجز عن الفهم فى أحيان كثيرة — اللذين تلقاهما هذه المسرحيات .

ويزيد من هذا العجز عن الفهم أن «تشيخوف» يستخدم الرمزية فى مسرحياته استخداماً موضعيًّا ، وليس استخداماً عاماً . فهو لا يجعل كل شخصياته ترمز إلى حقائق روحية معينة تخفيها هذه الشخصيات فى أعماقها ، بل هو يختار بعضاً من الشخصيات ، وينشئ بينها وبين أحد الرموز علاقة تماثل . بحيث يصبح الرمز بديلا من الشخصية ، وتصبح هذه تعبيراً آخر عن الرمز . يحدث هذا فى مسرحية « طير البحر » ، حيث الممثلة الشابة «نينا» هى طير البحر ، وحيث هذا الطير يرمز للحرية المقتولة ، فى الفن وفى المجتمع .

هنا نجد انطباقاً تاماً بين ما يحدث لطير البحر ، الذى يقتله الكاتب الشاب «تريبليف» لمجرد قطع الوقت ، وبين ما يحدث للممثلة الشابة «نينا» التى يعتدى عليها الكاتب الناجح «تريجورين» لمجرد التسلية وطلب اللذة العابرة .

ولكن تشيخوف لا يكتفى بعلاقات التماثل بين أرواح شخصياته وبين حركاتها المـــادية ، بل هو فى كثير من

الأحيان ينشئ علاقات مفارقة مريرة بين اهتمامات أبطاله الروحية وبين ما تدفعهم البيئة الخارجية إلى إتيانه من سخيف الأفعال أو قبيحها ، ثم يتخذ من هذه المفارقات وسيلة للتعليق على هذه البيئة المحيطة ونقدها ، وإظهار معايبها .

وكثيراً ما تجمع المسرحية الواحدة بين الحيلتين الفنيتين ، كالذى نجده فى «الشقيقات الثلاث» ، حيث مدينة موسكو ترمز إلى كل ما هو حر ، وواسع ، وعريض فى الحياة والعادات والأفكار . لهذا تتطلع «الشقيقات الثلاث» وأخوهن « أندريه » إلى الانتقال إلى موسكو ، هرباً من الحياة الضيقة الغبية التى يحياها الجميع فى بلدة صغيرة من بلاد الريف الروسى . فبين الشقيقات الثلاث و « أندريه » من جهة ، وبين مدينة موسكو بوصفها الرمزى هذا من جهة أخرى علامة تماثل يستخدمها المؤلف كى يطلعنا على شىء مما يدور فى أرواح أبطاله .

على أن « تشيخوف » ينشئ — فى الوقت نفسه — علاقة مفارقة بين هؤلاء الأبطال وبين البيئة التى تحوطهم ، يكون من نتيجتها أن يبدو هؤلاء الأبطال من الخارج سخفاء تافهين وحمقى ، فى الوقت الذى تشتعل فيه أرواحهم بنبيل الأفكار والرغبات . والنتيجة الفنية لهذه المفارقة هى أن هؤلاء الأبطال يمثلون أمامنا مأساة العصر الحديث كما يراها «تشيخوف» — مأساة ضياع الهمم والأفكار وسط سلسلة كالحة مريرة من تفاهات

الحياة اليومية ، وبخافات العيش الروتيني . ذلك أن المأساة فى نظر تشيخوف لم تعد مأساة النبلاء من الناس يدخلون مع القدر فى عراك مجيد ، ثم ينهزمون فى هذا العراك هزيمة هى أقرب الأشياء إلى النصر . إن مأساة العصر الحديث فى نظره هى مأساة البلادة والضياع والهمة التى لاتشتعل إلا ريثما تخبو مأساة الذين لا يهبّون لمقاتلة القدر ، بل يتلقون صفعاته صاغرين ، ولا يملكون إلا أن يأملوا فى مستقبل لايوجد فيه قدرٌ ، أو لاتوجد فيه صفعات .

* * *

قلت إن مسرح «تشيخوف» يجمع بين الواقعية والرمزية ، وأضفت أن هذا هو أحد أوجه الجمال والشاعرية فى هذا المسرح ؛ غير أن هذا رأى لا يسلم به بعض النقاد بسهولة . فمن هؤلاء من يرى أن لجوء «تشيخوف» إلى هذا المزج بين اللونين الفنيين ، إنما هو اعتراف ضمنى منه بعقم المدرسة الواقعية ، وعدم قدرتها على التعبير العميق عن التجربة الإنسانية .

ويفصّل «ريموند ويليمز»[1] هذا الرأى تفصيلا دقيقاً فى فصل له كتبه عن فن تشيخوف المسرحى ، وعرض فيه بالتحليل لروائع تشيخوف الأربع ، محاولا أن يثبت أن الرمز عند الكاتب الروسى الكبير إنما هو محاولة لتغطية النقص

(١) « الدراما من إبسن إلى اليوت » تأليف : « ريموند ويليمز » .

فى التعبير . فبدلا من أن يعطينا الكاتب لب التجربة ، عن طريق الحوار المسرحى والعاطفة العميقة التى تُوَحّد بين أجزاء التجربة ، نجده يصرف طاقته الفنية فى رسم الشخصيات وكتابة الحوار المناسب لمميزاتها ، فيقف بنا — بهذا — عند الحدود الخارجية للشخصيات ، ويحرم عمله الفنى من أن يتخطى نطاق المحليّة إلى نطاق العالميّة .

ولا يلبث الكاتب الموهوب أن يتبين هذا النقص الخطير فى عمله الفنى ، فيلجأ إلى وسيلتين لتعويض هذا النقص .

أولاهما : استخدام الرمز ، لمحاولة الربط بين أجزاء التجربة عن طريق شيء خارجى عنها يفرض على هذه التجربة فرضاً ، مثلما يفعل تشيخوف فى « طير البحر » ، حيث يربط بطريقة مدروسة مهندسة ، بين الممثلة الشابة والكاتب الشاب والمجتمع . وبهذا يحاول المؤلف أن يضفى على عمله صفة الوحدة العضوية .

أما الوسيلة الثانية : فهى دفع بعض شخصياته إلى الكلام ، والخطابة وشرح التجربة العامة التى تختفى وراء حياتها الخاصة .. وذلك محاولة من الكاتب لرفع شخصياته من المستوى الخاص إلى المستوى العام .

وفى رأى «ريليموند ويليمز» أن كلتا الوسيلتين لا تنجحان فى سد النقص الذى تجلبه المسرحية الواقعية على نفسها حين تصر

على أن تحاكى الطبيعة، بدلا من أن تحاول تعميق التجربة. وتجويد أساليب ترجمتها إلى أشكال فنية .

هذا هو مجمل الاتهام الذى يوجهه واحد من أعداء المسرحية الواقعية إلى هذا اللون من الكتابة المسرحية . وهو اتهام إن صح توجيهه إلى بعض المسرحيات الواقعية . مثل « الأشباح لإبسن » ، و « بيت القلوب المحطمة لشو » ، فهو ليس صحيحاً على إطلاقه وفى كل الحالات ، بدليل نجاح مسرحيات : « البطة البرية » لإبسن . و « الشقيقات الثلاث » و « بستان الكرز » لتشيخوف فى المزج الفنى المتكامل بين الواقعية والأسلوب الرمزى . وتوفيقها فى إعطاء المسرحية الواقعية — عن طريق هذا المزج — أبعاداً جديدة ترتفع بالتجربة من مستوى الخصوصية إلى مستوى العمومية .

والواقع أن كل ما يوجهه «ريموند ويليمز» من اتهامات للمدرسة الواقعية ممثلة فى فن «تشيخوف» بالذات، يبدى بوضوح أن هذا الكاتب متحيز لمدرسة بعينها من مدارس الكتابة المسرحية : هى المدرسة الرمزية ، كما تمثلها مسرحيات اليوت ، وأن هذا التحيز قد جعله غير قادر على تقييم غيرها من مدارس تقييما موضوعياً محايداً ..

إنه مثلا يعيب على أبطال «تشيخوف» أنهم يخطبون أحياناً . بدلا من أن يتحدثوا ، وهذه نظرة سطحية لوظيفة

الخطابة فى مسرح الكاتب الروسى . إن هذه الخطابة جزء لايتجزأ من تكوين الشخصية . إنها ليست مجرد خطابة ، بل هى إحدى الوسائل التى يستخدمها المؤلف لكشف الشخصية والتعليق عليها . فتشيخوف يريد أن يبين لنا كيف ينزع بعض أبطاله إلى التحمس ، وكيف يتعلقون بنبيل الأفعال والأقوال ، حتى لتشتعل عباراتهم وتلتهب ، ثم تنطفئ فجأة ، بعد أن يتبين هؤلاء الأبطـــال بأنفسهم أنهم مضحكون ، وأن عباراتهم البليغة تتفاوت تفاوتاً كبيراً مع قدراتهم الحقيقية والبيئة التافهة التى يعيشون فيها . إن هذه القدرات وتلك البيئة ، تؤكد أن هؤلاء الأبطال عاجزون ، محكوم عليهم بالفشل . ولهذا ، كثيراً ما يلجأ تشيخوف إلى قطع خطبة أحد الأبطال بعبارة سخيفة ، أو إنهائها فجأة ، للدلالة على أن عبارات أبطاله لا يقصد بها أن تلقى عظات على المتفرجين ، أو أن تشرح فلسفة لم يستطع الكاتب أن يترجمها دراميًّا إلى شخصية أو حركة . إن هذه الخطب هى جزء لا يتجزأ من الشخصية عند تشيخوف ، وإن كان من غير المنكور أن الكاتب يستعملها أيضاً وسيلة لإطلاعنا على التركيب الفكرى للشخصية ، فيؤدى هذا بدوره إلى « شرح » فلسفة الرواية .

وأى عيب فى هذا ؟ أليس من واجب المسرحى أن يترجم مادته الخام إلى دراما ؟ فإذا ما نجح فى هذه الترجمة ، وأنتج لنا شخصيات مقنعة ينزع بها تكوينها الفكرى والنفسى إلى

الخطابة ، أفنعيب هذا على الكاتب ؟ أليست الشخصية الخطابية جزءاً من تجربتنا الإنسانية ؟ وأى ضير فى أن يستخدم الكاتب الشخصية الخطابية وسيلة لبث بعض الآراء ، ما دام هذا البث يتم بطريقة فنية ، ويؤدى وظيفة فنية واضحة ؛ هى دفع الحركة الفكرية والروحية للمسرحية إلى الأمام ؟

ويدعى «ريموند ويليمز» أيضاً أن المزج بين الواقع والرمز ، إنما هو حيلة يقصد بها إخفاء نقص هام فى المسرحية الواقعية ، وهو أن هذه المسرحية تقدم تجارب خاصة ، لا يمكن أن ترتفع إلى مستوى التجربة الإنسانية العامة ، فهل هذا صحيح ؟ أليست التجربة التى تحكيها مسرحية « بستان الكرز » تجربة عالمية ؟ إن «تشيخوف» فى هذه المسرحية يعرض علينا ترجمة فنية وعاطفية لظاهرة اجتماعية معينة ، هى ظاهرة تحطم الإقطاع بكل ما يمثله من علاقات بشرية ، ونشوء نظام إقتصادى جديد فى روسيا هو النظام الرأسمالى ، الذى يحمل هو الآخر فى طياته بذور نظام آخر سوف يليه .

وفى عرض « تشيخوف » لهذه الظاهرة نجد استقطاراً لتجربة إنسانية عامة ، هى الأسى لكل ماض يذهب ؛ إن عواطف الكاتب تتجه إلى المستقبل والماضى معاً . إنه يأسى لتحطم النظام الإقطاعى ، وإن كان لا يؤيده ، ولا يحب له أن يستمر ؛ ذلك أن هذا النظام له بعض نواحى الخير والجمال .

وهو نظام التصق بفترة بعينها من التاريخ الإنسانى ، فاتخـذ بهذا لنفسه مكاناً فى تراثنا وعواطفنا . لذلك يوضح تشيخوف فى مسرحيته جوانب الخير فى هذا النظام ولا يغفل عنها ، وإن كان فى الوقت نفسه يوجه نقداً مرًّا لباقى الجوانب .

هذا الأسى على الماضى ، وتلك الإنسانية الواسعة التى تعشق الجمال الذاهب ، وترثى له ، ثم لا تغفل عما فى الحاضر من خير ، وما فى المستقبل من بشري ، أليست تجربة إنسانية عامة ؟ أم تراها إحدى خصائص المجتمع الروسى على عهد «تشيخوف» ؟

والرغبة الحادة الملحة التى كانت تحسها «الشقيقات الثلاث» فى ترك حياتهن العاجزة المغلقة فى الريف ، والانطلاق إلى رحابة العاصمة ، وعلاقاتها المتعددة الغنية ، والاستمتاع هناك بالحبيب والزوج وكل مباهج الحياة الاجتماعية . ترى هل هذه أيضاً تجربة خاصة لا تحسها إلا الشقيقات فقط ؟ أم أنها تجربة إنسانية عامة ، تحمل كل المرارة والأسى والتشوق التى نجدها جميعاً مختلطة فى قلوبنا ، ونحن مقيدون بوضع معين لا نرضاه ، ونرى الخير كل الخير فى أن نغيره ونقطع صلتنا به بأسرع ما نستطيع ؟

* * *

الواقع أن البساطة الظاهرية لمسرح «تشيخوف» تجنى على هذا المسرح عند الكثيرين : إنها بساطة زئبقية خداعة .

وفيها يقول «تشيخوف» نفسه ، فى خطاب أرسله إلى صديقه الحميم سفورين : « فلنكن فى مثل بساطة الحياة ، وفى مثل تعقيدها . إن الناس يجلسون لتناول الطعام ، وفى الوقت نفسه تكون مصائرهم بسبيل التقرير : فإما سعادة وإما شقاء » .

وهذا فى الواقع هو ما يحدث فى مسرحيات «تشيخوف» الناضجة ، فوراء المظهر الخــارجى لأناس يروحون ويجيئون ، ويأكلون ، ويسمرون ، ويتحدثون فى التافه من المواضيع ؛ تتجمع خيوط المأساة الإنسانية الحديثة .. مأساة الأفراد العاجزين المقيدين إلى أوضاع يجهدون فى سبيل تغييرها دون جدوى ؛ مأساة « واحدات الذباب » سقطت فى نسيج العنكبوت ، وأخذت تدفع بأرجلها فى خيوطه الواهنة ، محاولة الخلاص ، فإذا بها لا تزداد إلا اشتباكاً بهذه الخيوط !

إن بيت العنكبوت هو عند «تشيخوف» القدر الحديث ، وهو فى « الشقيقات الثلاث » بيت آل بروسوروف ، حيث نلتقى بـ « الشقيقات الثلاث » وأخيهن «أندريه» بعد عام واحد من وفاة أبيهن .

كانت الحياة فى موسكو على عهد الوالد المتوفى بهيجة دافئة ، واليوم لا تجد الشقيقة الكبرى « أولجــا » فى حياتها إلا الصداع والمرارة ، والنفور من العمل ، بعد أن تركت الأسرة موسكو وعاشت فى إحدى مدن الريف :

« أحس دائماً بصداع لاضطراري للذهاب للمدرسة كل يوم ، والتدريس بها حتى المساء ؛ أفكار غريبة تراودني ، وأحس كما لو أني أصبحت عجوزاً بالفعل . وفي خلال السنوات الأربع التي عشتها هنا ... أحسست يوماً بعد يوم أن عافيتي وشبابي ينزفان مني نقطة إثر نقطة » . لهذا تقوى عند أولجا رغبة واحدة وتشتد ، تلك هي أن ترحل إلى موسكو ، تبيع البيت ، وتتخلى عن كل شيء هنا وترحل إلى موسكو بأسرع ما تستطيع .

وتُعبِّر الشقيقة الوسطى عن هذه المرارة نفسها والضيق بالانحصار ، والأسى على الشباب الذاهب ، في حديث لها مع الطبيب العجوز تشيبيوتيكين :

« عندما صحوت اليوم ، وتركت فراشي ، أحسست فجأة أن سر الأشياء جميعاً قد وقع في يدي ، وأني أعرف كيف ينبغي أن تكون حياتي ؛ على المرء أن يعمل : أن يجهد حتى يسيل منه عرق الجبين ، مهما كان مقداره ، لأن هذا هو معنى حياته وهدفها وسعادتها وحماسها ... خير للمرء أن يكون ثوراً أو مجرد حصان – لا يهم أيهما طالما كان قادراً على العمل – من أن يكون امرأة شابة تصحو في الثانية عشرة وتشرب قهوتها في الفراش ، وتنفق ساعتين في ارتداء ثيابها » .

والأختان أولجا وإيرينا يربطها خيط واحد من خيوط

المأساة : أولجا تشعر تماماً أنها موشكة أن تصبح عانساً ، لأن أحداً لم يتقدم لخطبتها حتى الآن ، ولأن فرص الزواج أمامها فى بلدة ريفية صغيرة فرص نادرة إن لم تكن مفقودة أصلا . أما إيرينا ، فبالرغم من أنها لم تتعد سنوات شبابها الباكر بعد ، فهى تشعر بمرارة وألم كبيرين لأنها لم تحب .. لم تعرف طعم العاطفة العاتية التى تروى شباب المرء ، وتثير أعظم ما فيه ، وتهيئه لحياة خصبة مقبلة . أما العمل الذى أملت أن تجد فيه عوضاً عن الحياة الخصبة ، فقد أثبتت سنوات ثلاث قضتها وهى تعمل ؛ أنه سراب ، ووهم ضائع مع الأيام :

« إنى تعسة .. لا أستطيع العمل ، ولن أعمل . كفى ، كفى ! كنت عاملة تلغراف ، والآن أعمل فى مكاتب المجلس ، وليس فى قلبى سوى المقت والاحتقار لما يعطوننى من عمل هناك . وأنا الآن فى الثالثة والعشرين ، وقد مر بى وقت طويل وأنا أعمل ، وها هو ذا عقلى قد جف ونحل جسمى ، وأصبحت أقل جمالا وأكبر سناً ، وليس لأزمتى من انفراج ، والوقت يمر فكأننى أنحسر من الحياة الجميلة الواقعة ، وأتراجع رويداً رويداً منحدرة عبر هوة سحيقة » .

وتعلم إيرينا أنها أمام احتمالين لا مفر من قبول أيهما — كلاهما مر . إما أن تصبح عانساً مثل أختها أولجا . وإما أن تتزوج البارون الشاب القبيح الخلقة تيوزينباخ ، الذى

لاتحبه ، ولا تنفعل نفسها أبداً للقياه . وهى تراود نفسها على قبوله ، وتحاول أولجا أن تقنعها بضرورة الموافقة على الزواج منه ، فتتكشف الأخت الكبرى أثناء هذه المحاولة ، عن مدى هوة الشقاء التى وقعت فيها هى نفسها ، تقول أولجا لأختها :

« عزيزتى ، إنى لأنصح لك كشقيقة وصديقة . تزوجى البارون .. أنت تحترمينه وتقدرينه كل التقدير .. صحيح ، إنه ليس وسيما ، ولكنه شريف ونظيف . الناس لايتزوجون بدافع الحب ، ولكن أداء لواجبهم . هذا اعتقادى على كل حال ، وأنا على استعداد لأن أتزوج دون حب ، مهما يكن المتقدم لى فسأتزوجه ، ما دام مهذباً ، حتى لو كان عجوزاً » .

هذه الصيحة المعذبة التى تطلقها أولجا ، هى صيحة احتجاج أخيرة تطلقها أنثى محرومة ، ضرب عليها القدر القاسى ستاراً صفيقاً من التعاسة ، وحكم عليها بأن تعيش بتراء ، لازوج لها ولا ولد . وهى فى الوقت نفسه تحذير رهيب، لإيرينا أن تمسك بتلابيب الفرصة الوحيدة المتاحة لها . وهو تحذير تسمعه إيرينا وتقبله لأنها لا تملك إلا أن تفعل ، وإلا فالويل لها كل الويل . إنها تقول فى لهجة ملسوعة ملتاعة فى ختام الفصل الثالث :

« يا أختى العزيزة الحبيبة . إنى أقدر ، إنى أعلى شأن البارون ، إنه رجل رائع . سأتزوجه ، سأرضى بزواجه حتى أذهب إلى موسكو ! »

ولو أن إيرينا رفضت عرض البارون الزواج بها ، لواجهت أعماق المأساة فى بيت العنكبوت الذى تسكنه . ليس فى هذا البيت أخت حنون ، كبيرة القلب ، حكم عليها بالحرمان الأسود وحسب ، بل هناك أيضاً شقيقة صغرى تعيش هى الأخرى فى مأساة تتقطع لها نياط القلب . لقد تزوجت هذه الشقيقة الصغيرة ماشا ، وهى بعدُ فى سن الشباب الغرير ، مدرساً شاباً ظنت إذ ذاك ؛ أنه فى حكمة الفلاسفة ، وعمق المفكرين ، ثم ما لبثت أن تبينت أنها كانت واهمة . فزوجها مدرس جاف العقل والروح ، ضيق النظرة ، كل همه أن يرضى عنه رؤساؤه . إنه طيب القلب فعلا ، ولكنه لا يرضى خيال فتاة متطلعة مثل ماشا . فلا رقة فيه ولا فن ، لهذا تعيش معه ماشا عيشة قد غاب عنها أهم أسسها ، وهو المشاركة الخلاقة ، بين قلبين وروحين .

وحينما يهبط البلدة ضابط نبيل القلب ، معذب الروح ، قد تزوج هو الآخر من امرأة ثرثارة تافهة ، تحيل حياته جحيما دائماً ، بما تحاوله من انتحار كل بضعة أيام ، يهفو قلب ماشا إليه ، وتجد فى مأساته شبيهاً بمأساتها ، ويحبها هو الآخر : ولكنهما يعلمان أن لا مفر من الفراق .

وكأن القدر لا يكتفى بحرمان ماشا من شبابها وسعادتها ، فهو يخايل ناظريها بوهم من سعادة متألقة ، ويعرض أمامها قبساً مما كانت خليقة أن تصل إليه من هناء لو قدر لها أن

تتزوج من شخص تحبه فعلا ، كما أحبت الضابط : فيرشينين . ثم سرعان ما يختفي السراب ، ويترك الضابط البلدة مع الفرقة التى جاء معها ، ويترك وراءه حطاماً محترقاً هو قلب ماشا وروحها .

فما الذى يدفع إيرينا إذن إلى البقاء ؟ أتنتظر لكى تشقى من جديد بالحياة إلى جوار حطام ثالث ، هو فى هذه المرة حطام أخيها ؟ أجل ، فقد تزوج أندريه ، الذى كان فتى شفافاً متطلعاً ، يأمل فى يوم من الأيام أن يصبح أستاذاً فى جامعة موسكو ، وتعترف به روسيا كلها ، وتسعد شقيقاته فى ظل صيته وعلو قدره ؛ تزوج من امرأة سوفيتية فتاكة ، خيل إليه أنه يحبها ، وأنها خليقة أن تغنى حياته وتدفعها إلى الأمام ، فإذا بها امرأة معطلة ، تسخر من عمله ، وتحمله مسئوليات البيت ، وتخالل رجلا من الناحيـــة ، يعمل زوجها مرءوساً له . أما أندريه فقد مكث فى البلدة بدلا من أن يذهب إلى موسكو ، ورضى بعمله التافه مرغماً ، وانصرف إلى لعب القمار بأموال شقيقاته المسكينات ، وأصبح فى النهاية حطاماً يجر مع عربة طفله التى كلفته زوجته بدفعها ، ركام آماله ، وبقايا رؤى كانت تخايله .

ليس أمام إيرينا إلا أن تقبل الزواج من البارون الذى تحترمه فقط ، ولا تحبه قط . ولكن هل يرضى القدر بعد أن رضيت هى ؟ لا ، فالعنكبوت يصر على أن يأكل ضحاياه

جميعاً .. الواحدة وراء الأخرى . إن البارون يموت فى مبارزة ، فتكتمل بهذا فصول المأساة ، وتنتهى المسرحية والشقيقات باقيات فى أماكنهن الذليلة الأسيرة ، ليس أمامهن إلا أن يواصلن العيش من يوم إلى يوم ، ويرقبن جذوة الحياة وهى تنطفئ رويداً رويداً فى قلوبهن وأرواحهن .

ولكن هل معنى هذا ، أن حياة الشقيقات قد ضاعت هباء ؟ هل يعشن فى ظلام دامس لا بصيص فيه من النور ؟ إن «تشيخوف» ينهى مسرحيته بنغمات موسيقية روحية ومادية تدعو إلى كثير من الأمل : الفرقة العسكرية التى ترحل عن البلدة تعزف موسيقاها فى مرح وبهجة ، وأرواح الشقيقات تعزف هى الأخرى ألحاناً متفاوتة .. معذبة ، ولكنها مع ذلك عذبة لأن فيها بقية من أمل ، وصبابة من تطلع . تقول ماشا :

« سنظل وحيدات وعلينا أن نبدأ من جديد .. علينا أن نعيش .. نعيش »

وتقول إيرينا :

« سيأتى يوم يعرف فيه الكل لماذا ، ولأى غرض ، نتعرض لكل هذا العذاب ... أما الآن فعلينا أن نعيش . علينا أن نعمل ، نعمل فقط ! »

وتقول أولجا :

« الفرق الموسيقية تعزف بكل مرح ، بكل قوة ، وكل منا شديدة الرغبة فى أن تعيش !......

عذابنا هذا سينقلب سعادة لمن يأتون بعدنا .
ستسود السعادة والسلام الأرض ، وستذكر الأجيال
فى حب وعطف أولئك الذين يحيون الآن ،
وتعطر ذكراهم » .

لقد انتصر القدر فى معركة أخرى من سلسلة المعارك التى يخوضها معه الإنسان من أجل سعادته . ولكنها مجرد معركة ، ستتلوها معارك أخرى، لا بد للإنسان أن ينتصر فيها أو بعدها . النصر النهائى للإنسان ، مهما تحملت الأجيال من آلام ، وقاست من مصائب .

هذه النغمة النهائية التى يختتم بها «تشيخوف» مسرحيته لم تأت عفواً ، إنما هى الحصيلة الختامية لتفاعل روحى وفكرى بين أبطال المسرحية ، وبخاصة بين الشقيقات ، وبين كل من البارون تيوزينباخ والضابط فيرشينين ، وكلاهما يحمل فى رأسه وروحه أفكاراً وعواطف نبيلة عن المستقبل . وكلاهما ، وبخاصة فيرشينين ، يعبر عن إرادته بالطريقة الخطابية الزاعقة التى يعترض عليها «ريموند ويليمز» ، دون أن يقدر أن لها وظيفة درامية محددة .

أما هذه الوظيفة فهى تطوير الشخصيات تطويراً يجعل الخاتمة التى يريد المؤلف أن ينتهى إليها تبدو منطقية مقنعة : ذلك أنه إذا كانت الشقيقات الثلاث ينجحن فى آخر المسرحية فى الارتفاع عن مآسيهن الخاصة ، ويجدن فى المصير النهائى

الذى ينتظر الإنسان عزاء عن بلاياهن ، أى عزاء ، فإنما يتم هذا بفضل تفاعلهن مع آراء فيرشينين النبيلة ، التى يبثها إياهن فى إحدى « خطبه » ، إذ يقول :

« فى البلدة الآن ثلاث مثلكن ، ولكن الأجيال القادمة ستشهد مزيداً بعد مزيد ، وسيأتى وقت يتغير فيه كل شيء ، ويصبح الناس على خير ما تُرِدْنَ ، يعيشون كما تعشن أنتن الآن ، ثم يتعداكن التطور ، ويولد الناس ليصبحوا خيراً مما أنتن الآن » .

كذلك تتفاعل آراء فيرشينين مع آراء الشقيقات ، حينما يحكى الضابط لماشا ، قصة الوزير الفرنسى الذى سجن بسبب فضيحة « قناة بناما » فالتفت لأول مرة فى حياته إلى جمال الطيور ، إذ رآها من نافذة زنزانته الضيقة ، ولم يكن وهو وزير يلحظ جمالها قط ، فلما خرج الوزير من سجنه عاد إلى سابق إهماله للطيور . يقول فيرشينين هذا الكلام لماشا ردا على تعلقها الشديد بالذهاب إلى موسكو مع شقيقاتها ، فيجعلها كلامه تتبين أن المرء يستطيع أن يصنع جزءاً من سعادته بيده ، وأنه لو أراد فسيجد الجمال الذى يبحث عنه حتى فى آخر مكان يتوقع أن يجده فيه . وعلى كل حال فمن الخطأ أن يبنى المرء سعادته على فكرة واحدة ثابتة ، فقد يكون الوهم وحده هو الذى يهيئ له أن هذه السعادة تختفى خلف تلك الفكرة .

لو تأملنا المسرحية بعد هذا لوجدنا فيها كل ما لاحظه

نقاد «تشيخوف» من عناصر عابوها على مسرح الكاتب الروسى الكبير ، ولوجدنا كذلك أن المسرحية أمينة للمبدأ الذى اختطه « تشيخوف » نفسه لمسرحياته .

هنا « أكوام فوق أكوام من الكلمات » ، كما لاحظ تولستوى على « طير البحر » . وهنا خطب وآراء صريحة معلنة ، كما لاحظ ريموند ويليمز . وشلة الخيوط التى تهدد قلم الكاتب بالضلال موجودة كذلك . فالأدوار متعددة ، ولكل بطل من الأبطال قصة صغيرة تشكل خطراً على المسرحية . وحوادث المسرحية ، بعد هذا ، لا تعدو أن تكون حوادث تحدث لإناس عاديين ، إذ يجلسون إلى مائدة طعام . ولكن العبرة ليست بوجود هذه الأشياء جميعاً ، إنما هى بما يفعله الكاتب بهذه الأشياء : الألفاظ أكوام فوق أكوام ، ولكنها ليست ألفاظاً جوفاء ، والأكوام لا تتراكم ؛ بل تنمو نمواً عضوياً . والخيوط متعددة فعلا ، وكثيرة ، ولكن قلم «تشيخوف» لا يتوه فيها ، بل هو ينسجها نسجاً دقيقاً محكماً ، نخرج منه بعمل فنى جميل .

أما الحوادث العادية الهادئة ، فإنها — كما رأينا — تطابق تماماً ما حدده لها «تشيخوف» من قيمة .

إن آل بروسوروف يجلسون فعلا إلى مائدة : يأكلون ويشربون ، ويسمرون ، ولكن وراء هذا الهدوء الظاهرى الذى نلمحه فى حياتهم أحداثاً روحية وعاطفية كبيرة القيمة ، بعيدة الغور .

على الراعى

الفصل الأول

(فى منزل بروسوروف . غرفة جلوس ذات أعمدة . فى الخلف غرفة أكل كبيرة . الوقت : ظهراً . والشمس ساطعة بالخارج . المائدة تعد للغداء ..

ترى أولجا مرتدية الزى الموحد لمدرسات مدارس البنات الثانوية ، وهى تتمشى وتصحح بعض الكراسات ، وماشا ، فى رداء أسود ، وقبعتها على ركبتها تقرأ جالسة ، فى كتاب . على حين تقف إيرينا فى رداء أبيض .. وعلى وجهها أمارات التفكير ..)

أولجـــا : اليوم يا إيرينا ينقضى عام كامل على وفاة أبينا فى الخامس من مايو : عيد القديسة راعيتك . كان اليوم بارداً جداً .. والثلج يتساقط . ظننت أنى لن أعيش بعد ذلك اليوم ، وكنت أنت فى غيبوبة كالموت . واليوم ؛ بعد عام واحد فقط ، نتأمل ما حدث بلا ألم ، وترتدين أنت ملابس بيضاء ، وتظهر على وجهك علامات السعادة . (تدق الساعة الثانية عشرة) دقت الساعة إذ ذاك كما تدق الآن .(صمت) وأذكر أن

الموسيقى عزفت فى الجنازة ، وأطلقت البنادق عند المقبرة . كان أبونا قائداً برتبة لواء . ومع هذا فقد كان مشيعوه قليلين ، بالطبع منع المطر الناس من المجئ . كان مطراً مدراراً ، وكان الثلج يتساقط .

إيرينــا : ولم هذا الحديث الآن ؟

(يظهر كل من البارون تيوزينباخ ، وتشيبيوتيكين وسوليني عند المائدة ، فى غرفة الأكل خلف الأعمدة)

أولجــا : الجو اليوم دافئ ، حتى لنستطيع أن نترك النوافذ مفتوحة ، ولو أن أشجار البتولا لم تزهر بعد . عينوا أبى قائداً برتبة لواء ، فخرج بنا ذات يوم للنزهة خارج موسكو منذ أحد عشر عاماً ، أذكر تماماً أن اليوم كان فى أوائل مايو . وكان كل شىء فى موسكو مزهراً والجو دافئاً . كما هو اليوم ، والأشيــاء تسبح فى ضوء الشمس . انقضت إحدى عشرة سنة على ذلك اليوم ، وما زلت أذكره كما لو كنا خرجنا بالأمس . يا إلهى ! عندما صحت هذا الصباح ورأيت حوالىّ كل هذا الضياء وذلك الربيع ، أحسست بالفرحة تدخل قلبى ، وشعرت بحنين جارف للعودة إلى بلدى ..

تشيبيوتيكين : تراهن ؟

تيوزينباخ : لاتكن سخيفاً .

(ماشا وقد غابت فى ذكريات بعيدة : تصفر فى هدوء)

أولجا : لاتصفرى يا ماشا . كيف تجروئين ! (صمت) دائماً أحس بصداع لاضطرارى للذهاب إلى المدرسة كل يوم ، والتدريس بها حتى المساء . أفكار غريبة تراودنى . وأحس كما لو أنى قد أصبحت عجوزاً بالفعل . وفى خلال السنوات الأربع التى عشتها هنا ... أحسست يوماً بعد يوم أن عافيتى وشبابى ينزفان منى نقطة إثر نقطة . وفى كل يوم تقوى عندى رغبة واحدة وتشتد ...

إيرينا : أن ترحلى إلى موسكو ، أن تبيعى البيت ، وتتخلى عن كل شىء هنا ، وترحلى إلى موسكو !

أولجا : أجل إلى موسكو بأسرع ما أستطيع (يضحك تشيبيوتيكين وتيوزينباخ) .

إيرينا : أظن أن أندريه سيصبح مدرساً . ولكنه مع هذا لن يرغب فى البقاء هنا . ماشا المسكينة هى التى قدر عليها البقاء .

أولجـــا : تستطيع ماشا أن تذهب إلى موسكو كل عام ، وتبقى هناك الصيف كله .
(ماشا تصفر فى رقة)

إيرينــا : كل شيء سيكون على ما يرام ، إن شاء الله . (تنظر من النافذة) اليوم جميل بالخارج . لست أدرى لماذا أنا سعيدة هكذا . تذكرت فى الصباح أن اليوم عيد القديسة راعيتى . فأحسست فجأة بالسعادة ، وذكرت أيام طفولتى حينما كانت أمنا لا تزال على قيد الحياة . يا لها من ذكريات جميلة تلك التى ثارت فى نفسى . يا لها من ذكريات ..

أولجـــا : أنت اليوم كلك إشراق .. لم أرك من قبل على كل هذا الحسن ، وماشا مليحة هى الأخرى . وأظن أن أندريه يكون جميلا هو الآخر لو لم يكن سميناً هكذا . إن السمنة تفسد مظهره . أما أنا فقد هرمت ، ونحلت كثيراً ؛ ربما لكثرة ما أنهر البنات فى المدرسة . على أننى اليوم طليقة ، أنا اليوم فى عطلة ولا أحس صداعاً . وأشعر أننى أصغر مما كنت بالأمس . إننى لم أتعد الثامنة والعشرين . على كل حال ، الله موجود . لو أننى كنت متزوجة ، وكان بوسعى

أن أبقى بالبيت طول اليوم ، لكنت أحسن حالا مما أنا (صمت) إذن لأحببت زوجى ..

تيوزينباخ : (مخاطباً سوليني) مللت سماع سخافاتك (يدخل غرفة الجلوس) نسيت أن أقول إن فيرشينين ، القائمقام الجديد فى سلاح المدفعية ، سيزورنا اليوم (يجلس إلى البيانو) .

أولجـــا : جميل ، يسعدنى هذا .

إيرينـــا : هل هو عجوز ؟

تيوزينباخ : لا ، أبداً .. فى الأربعين أو الخامسة والأربعين على أقصى تقدير (يعزف فى رقة) يبدو لى أنه رجل ممتاز . إنه بكل تأكيد ليس غبياً . وإن كان يلذ له أن يتكلم .

إيرينـــا : أهو مسلٍّ ؟

تيوزينباخ : هو نفسه مسلٍّ . ولكنه لا يعيش بمفرده ، فهناك زوجته وحماته وابنتاه ، إنها زوجته الثانية ، وهو لا يفتأ يزور الناس ، ويقول للجميع إنه متزوج وله ابنتان . سيقول لكم هذا الكلام نفسه هنا . الزوجة لا هنا ولا هناك . تصفف شعرها على هيئة منشة ، وتكثر الكلام ، وتتحدث فى الفلسفة ، وتحاول الانتحار المرة بعد المرة نكاية فى زوجها . لو كنتَ مكانه لتركتها من

زمن بعيد . ولكنه يصبر عليها ويكتفى بالشكوى.

سولينى : (يدخل ومعه تشيبيوتيكين من غرفة الأكل) أستطيع بيد واحدة أن أرفع أربعة وخمسين رطلا فقط ، ولكنى بكلتا يدى أرفع مائة وثمانين ، بل مائتى رطل ، ومن هذا أستنتج أن قوة رجلين ليست ضعف قوة رجل واحد فقط ، بل هى ثلاثة أضعاف ، وربما أكثر ..

تشيبيوتيكين : (يقرأ صحيفة وهو يسير) إذا وجدت أن شعرك يسقط ؛ خذ أوقية من النفتالين ونصف زجاجة من الكحول ... أذب النفتالين فى الكحول واستعمل المحلول يومياً .
(يدوّن فى مفكرته) دائماً خذ مذكرات بما تقرأ . لست محتاجاً لهذه المذكرة مع ذلك (يجتاز العتبة إلى الخارج) . لا يهم ..

إيرينــا : إيفــان رومانوفيتش ، عزيزى إيفــان رومانوفيتش !

تشيبيوتيكين : ماذا تريد فتاتى الصغيرة الأثيرة ؟

إيرينــا : إيفــان رومانوفيتش ، عزيزى إيفــان رومانوفيتش ! أشعر أننى أطير فى سماء زرقاء عريضة ، وحوالىّ طيور بيضاء عظيمة ، لماذا أحس هذا ؟ لماذا ؟

تشيبيوتيكين : (يقبل يديها فى حنان) يا طيرى الأبيض ..

إيرينـــا : عندما صحـــوت اليوم ، وتركت فراشى ، وارتديت ملابسى ، أحسست فجأة أن سر الأشياء جميعاً قد وقع فى يدى ، وإنى أعرف كيف ينبغى أن تكون حياتى . عزيزى إيفان رومانوفيتش ، إن كل شىء تكشّف لى . على المرء أن يعمل ، أن يجهـــد حتّى يسيل منه عرق الجبين ، مهما كان مقداره ، لأن هذا هو معنى حياته ، وهدفها وسعادتها وحماسها . كم هو جميل أن يكون المرء عاملا يصحو فى الفجر ، ويكسر الأحجار ليعبّد الطريق ، أو أن يكون راعياً ، أو مدرساً يعلم الأطفال ، أو سائق قطـــار .... يا إلهى .. ليس هذا فقط ، بل خير للمرء أن يكون ثوراً أو مجرد حصان — لا يهم أيهما طالما كان قادراً على العمل — من أن يكون امرأة شابة تصحو فى الثانية عشرة ، وتشرب قهوتها فى الفـــراش . وتنفق ساعتين فى ارتداء ثيابها . أوه ، إنه أمر فظيع .. إن حاجتى للعمل تعدل ما نحس به من ألم العطش حينما يشتد الحـــر . إيفـــان رومانوفيتش ؛ إن لم أصح مبكرة فى قابل

الأيام ، وأنصرف إلى عمل ما ؛ حق لك أن تحرمني صداقتك .

تشيبيوتيكين (في رقة) سأفعل .. سأفعل ..

أولجـــا : كان من عادة الوالد أن يلزمنا بالاستيقاظ في السابعة . أما الآن فإن إيرينا تصحو في السابعة ، وتظل راقدة تفكر في شيء ما حتى التاسعة على الأقل . وكم تبدو جادة المظهر ! (تضحك)

إيرينـا : أنت قد اعتدت أن تعتبريني طفلة ، حتى بات غريباً عليك أن أبدو جادة ، إنني في العشرين .

تيوزينباخ : أفهم جيداً ذلك الحنين للعمل . يا إلهي إنني لم أعمل يوماً واحداً في حياتي ؛ ولدت في بترسبورج — وهي مكان بارد — كسول ، في أسرة لم تعرف قط معنى العمل أو الهم . أذكر أنني كنت كلما عدت من فرقتي بادرني الخادم يخلع لي حذائي ، على حين أتململ أنا ، وتنظر أمي إلي في عبادة ، وتعجب لأن الناس لا يرونني بالعين نفسها التي تراني بها . كانوا يدرأون عني العمل . ولكن ها هو ذا عصر جديد يطلع علينا فجره ، في الوقت المناسب . النـــاس يزحفون علينا جميعاً .. وعاصفة قوية مانحة للحياة ....

تتجمع أمامنا وتقترب ، وسرعان ما تهب علينا فتطرد أمامها الكسل واللامبالاة ... وكراهة العمل والبلادة الفاسدة التي تصيب مجتمعنا . سأعمل أنا ، وفي خلال خمس وعشرين أو ثلاثين سنة سيعمل كل الناس ... كل واحد منهم !

تشيبيوتيكين : أنا لن أعمل قط .

تيوزينباخ : أنت لا تهم أحداً .

سوليني : بعد خمس وعشرين سنة سنكون قد متنا جميعاً والحمد لله ، وخلال سنتين أو ثلاث ، ستموت أنت بالسكتة ، وإلا فسأضربك أنا بالرصاص ، يا غرامي !

(يخرج من جيبه زجاجة عطر ، ويضمخ صدره ويديه) .

تشيبيوتيكين : (يضحك) ما تقوله صحيح ، أنا لم أعمل قط بعدما تخرجت في الجامعة ، لم أحرك أصبعاً أو أفتح كتاباً ، كنت أقرأ الصحف فقط .. (يخرج من جيبه صحيفة ثانية) مثلا : علمت من الصحف أن كاتباً يدعى دوبرولوبوف[1] قد وجد يوماً على قيد الحياة . ولكن ماذا

---

(١) دوبرولوف (١٨٣٦ - ١٨٦١) ناقد روسي مرموق ، لفت إليه الأنظار رغم قصر حياته .

كتب ، لا أدرى . الله وحده يدرى .. (يسمع دق على الأرض ، يصدر من الطابق السفلى) خذ .. إنهم ينادوننى من الطابق الأسفل وأحدهم قد جاء يزورنى . سأعود بعد دقيقة . لن أغيب ..

(يخرج فى سرعة وهو يحك لحيته)

إيرينــا : إنه ينتوى أمراً .

تيوزينباخ : أجل . لقد بدا سعيداً وهو خارج ، حتى لأعتقد أنه لابد راجع بهدية لك بعد قليل .

إيرينــا : شىء سخيف ..

أولجـــا : أجل . مريع .. إنه دائماً يرتكب حماقات .

ماشا : قرب البحر شجرة بلوط خضراء .
وحوالها حلقة من الذهب الوهاج .
حلقــة من الذهب الوهاج .[1]

(تنهض وتغنى برقة) .

أولجـــا : لست اليوم على مألوف مرحك يا ماشا . (ماشا تغنى وهى تلبس قبعتها) . أين تذهبين؟

ماشا : إلى البيت .

إيرينــا : هذا غريب .

تيوزينباخ : وفى يوم عيد القديسة راعيتها أيضاً .

---

(١) من قصيدة بوشكين : « روسلان ولودميلا »

ماشا : لا يهم ، سآتى فى المساء . لك تحياتى يا عزيزتى . (تقبل إيرينا) . كل عام وأنت طيبة ، ولو أنى قلتها من قبل . زمان ، حينما كان أبونا حياً . كان ثلاثون أو أربعون ضابطاً يحضرون أعياد ميلادنا . كانوا يحدثون ضجيجاً كثيراً ، ويجلبون معهم المرح ، أما اليوم ، فضيوفنا رجل ونصف ، والبيت موحش كالصحراء ... سأخرج . أنا اليوم كاسفة البال ، لا مرح عندى ، فلا تأبهوا بى . (تضحك من خلال دموعها) . سنتحدث فيما بعد ، أما الآن فإنى أتركك . سأذهب إلى مكان آخر .

إيرينـــا : (مستاءة) أنت غريبة الأطوار .

أولجــــا : (تبكى) أنا أفهمك ، يا ماشا .

سولينى : حينما يخوض رجلان فى حديث فلسفى فتلك فلسفة أو سفسطة . أما أن تتحدث امرأة أو امرأتان فى الفلسفة ، فاسمحوا لى ...

ماشا : ماذا تقصد بهذا أيها الرذيل ؟

سولينى : لاشىء ، « وحتى الزفرات ما ملك أن يطلقها ، فقد برك عليه الدب بكل ثقله »[1]

(١) من أحدوثة الكاتب كريلوف : « الفلاح والخادم » . وكريلوف كاتب روسى اشتهر بهذا اللون من الكتابة (١٧٦٩ — ١٨٤٤)

ماشا : (لأولجا فى غضب) لا تبكى !
(تدخل أنفيسا وفيرابونت يحملان كعكة) .

أنفيسا : من هنا يا عزيزى . ادخل لا تخف . فقدماك نظيفتان . (لإيرينا) من مجلس الحى . من ميهائيل ايفانيتش بروتوبوبوف ... كعكة .

إيرينــا : شكراً لك . أرجوك أن تشكريه لى (تتناول الكعكة) .

فيرابونت : ماذا تقولين ؟

إيرينــا : (بصوت مرتفع) أرجوك أن تشكريه .

أولجــا : أعطيه فطيرة يا دادة . فيرابونت ، اذهب معها فستعطيك فطيرة .

فيرابونت : ماذا ؟

أنفيسا : هيا ، أيها الجد فيرابونت سبيريدونيتش . هيا .
(يخرجان)

ماشا : لا أحب هذا الميهائيل بوتابيتش أو إيفانيتش بروتوبوبوف . لا ينبغى أن ندعوه هنا .

إيرينــا : لم أدعه قط .

ماشا : حسناً .. إذن ..

(يدخل تشيبيوتيكين يتبعه جندى يحمل «ساموفار» من الفضة . تسمع همهمة من الدهشة الساخطة)

أولجــا : (تغطى وجهها بيديها) ساموفار .. هذا فظيع
: (تخرج إلى غرفة الأكل وتتجه إلى المائدة) .

إيرينـــا : يا عزيزى إيفان رومانوفيتش . ما هذا الذى فعلته .؟

تيوزينباخ : (ضاحكاً) ألم أقل لكم ..؟

ماشا : إيفان رومانوفيتش .. أنت عديم الحياء ..

تشيبيوتيكين : يا فتاتى العزيزة ، أنت الوحيدة لى فى الحياة . أنت أعز من أعرف وأنا رجل عجوز سيبلغ الستين تقريباً . عجوز وحيد لا غناء فيه ، إن خير ما فىَّ حبى لك ، ولولاه لمت من زمان بعيد (لإيرينا) يا شابتى العزيزة . لقد عرفتك من يوم ميلادك وحملتك بين ذراعى هاتين ، وأحببت أمك الراحلة .

ماشا : ولكن هداياك جد غالية !

تشيبيوتيكين : (غضبان من خلال دموعه) هداياى غالية ! يا لك من ... (للجندى) أدخل الساموفار هنا .. (يغيظها) هداياى غالية . !

(يدخل الجندى غرفة الطعام بالساموفار)

أنفيسا : (تدخل وتجتاز المسرح) عزيزتى ، قدم إلينا كولونيل غريب علينا ! لقد خلع معطفه دون انتظار . أيها الأولاد إنه قادم هنا . حبيبتى إيرينا ، ستقابلينه بلطف وأدب أليس كذلك ؟ كان يجب أن تتغدوا من زمن .. يا إلهى ..

تيوزينباخ : لابد أنه فيرشينين (يدخل فيرشينين) ليفتينانت كولونيل فيرشينين .

فيرشينين : (لماشا وإيرينا) يشرفنى أن أقدم نفسى . اسمى فيرشينين ، كم يسعدنى أن أستطيع المجئ أخيراً . شد ما كبرتما . أوه ! أوه !

إيرينــــا : تفضل بالجلوس . نحن سعيدتان لمقدمك ..

فيرشينين : (فى مرح) وأنا سعيد . جد سعيد .. ولكنكما كنتما ثلاث شقيقات قطعا . أنا أذكر ثلاث بنات ، لا أذكر الوجوه . ولكنى أعرف أن أباكما كولونيل بروسوروف كان له ثلاث بنات صغيرات ، أذكر هذا تماماً . لقد رأيتهن بعينىّ هاتين . ما أسرع ما يمر الزمن . آه ، ما أسرع ما يمر !.

تيوزينباخ : الكسندر إيجناتيفيتش من أهل موسكو .

إيرينــــا : من موسكو ! أنت من موسكو ؟

فيرشينين : نعم . كان أبوك قائد بطارية هناك ، وكنت أنا ضابطاً فى اللواء نفسه . (لماشا) أنا أعرفك شيئاً ما .

ماشا : أما أنا فلا أذكرك ..

إيرينــــا أولجا ! أولجا ! (تهتف فى غرفة الأكل) أولجا ! تعالى ! (تدخل أولجا من غرفة الطعام)

ليفتينانت كولونيل فيرشينين من أهالى موسكو .

فيرشينين : أعتقد أنك أولجا سيرجييفنا . كبرى الشقيقات ، وأنك أنت ماريا . وأنت إيرينا ، الصغرى ..

اولجـــا : إذن فأنت من موسكو ..

فيرشينين : أجل .. لقد تلقيت علومى فى موسكو .. بدأت خدمتى هناك ، وبقيت فيها مدة طويلة حتى عينت أخيراً قائد بطارية ، فنقلت إلى هنا كما ترين . أنا فى الواقع لاأذكرك .... وإنما أعرف فقط أن أباك كان له ثلاث بنات ، أما أبوك فأذكره جيداً ولو أغمضت عينى قليلا فسأراه كما كان إذ ذاك ، كان من عادتى التردد على بيتكم فى موسكو .

أولجـــا : كنت أظن أننى أذكر الجميع .. ولكن ..

فيرشينين : اسمى الكسندر إيجناتيفيتش .

إيريـنـــا : الكسندر إيجناتيفتش .. أنت قادم من موسكو ! هذه فى الواقع مفاجأة !.

أولجـــا : سنذهب إلى هناك قريباً ..

إيريـنـــا : نأمل أن نكون هناك فى الخريف . إنها بلدنا فقد ولدنا فيها . فى طريق بسمانى القديم (تضحكان جذلا) .

ماشا : إذن فقد عثرنا فجأة على واحد من أهل بلدتنا

(فى نشاط) أتذكرين يا أولجا كيف كانوا يتحدثون عن « الميجور المتيم » . كنت مغرماً بسيدة ما ولم تكن إلا مجرد ليفتينانت ، ومع ذلك فقد أطلقوا عليك اسم « الميجور المتيم » .

فيرشينين : تماماً « الميجور المتيم » بالضبط . !

ماشا : كان لك شارب إذ ذاك . ولكنك الآن أكبر سناً ! (من خلال دموعها) أنت الآن أكبر سناً . !

فيرشينين : أجل كانوا يسمونني «الميجور المتيم » كنت شاباً إذ ذاك وكنت مغرماً . وأنا الآن لا هذا ولا ذاك .

أولجـــا : ولكن ما من شعرة بيضاء واحدة فى رأسك . أنت أكبر سناً ، ولكنك لم تصبح بعد عجوزاً

فيرشينين : أنا فى الثانية والأربعين على أية حال ، هل طال بكم الوقت بعيداً عن موسكو ؟

إيرينـــا : إحدى عشرة سنة : ماشا ، لماذا تبكين أيتها البلهاء ؟ (تبكى) أنا الأخرى أبكى .

ماشا لا شيء . وأين كنت تسكن ؟

فيرشينين : فى طريق باسمانى القديم .

أولجـــا : مثلنا .

فيرشينين : سكنت فى الشارع الألمانى ذات مرة حينما

كانت القيادة العليا فى الثكنات الحمراء .
بين الشارع والثكنة جسر قبيح المنظر يندفع تحته الماء . إن المرء ليشعر بالحزن إذا ما عاش بمفرده فى مثل ذلك المكان . (صمت) النهر هنا فسيح وجميل ! نهر رائع !

أولجـــا : أجل ، ولكن البرد شديد . البرد هنا شديد جداً . والبعوض ...

فيرشينين : ماذا تقولين ! الجو هنا جو روسى بحق ، يجلب الصحة ، وعندكم غابة ونهر وأشجار البتولا ، يا للبتولا العزيزة المتواضعة . أحبها أكثر من أية شجرة أخرى . هنا مكان يطيب فيه العيش . ولكنى لا أفهم لماذا تبعد محطة السكة الحديدية ثلاثة عشر ميلا من هنا .. ولا أحد يدرى .

سوليني : أنا أدرى (الكل ينظرون إليه) لأنها لو كانت قريبة فلن تكون بعيدة ، وما دامت بعيدة فلن تكون قريبة (لحظة صمت محرج)

تيوزينباخ : رجل مضحك .

أولجـــا : الآن عرفت من تكون . تذكرت .

فيرشينين : وعرفت أمك زمناً .

تشيبيوتيكين : كانت امرأة طيبة ، رحمها الله .

إيرينـــا : أمنا مدفونة فى موسكو .

أولجـــــا : فى مقبرة نوفو – ديفيتشى .

ماشا : أتدرون أنى بدأت أنسى ملامحها . ونحن أيضاً سينسانا الناس بالطريقة نفسها .

فيرشينين : أجل سينسوننا . إنه مصيرنا ولا دافع له . سيأتى وقت ينسى فيه الناس، أو يعتبرون تافهاً كل ما نعده نحن الآن جليلا أو ذا معنى . أو كبير الأهمية (صمت) والغريب فى الأمر أننا الآن لا نستطيع .أن نفرق بين ما سيقدر له أن يصبح عظيما وهاماً من أمورنا ، وبين ما سيعتبر هزيلا سخيفاً . ألم تبد اكتشافات كوبرنيكوس أو كولومبوس ، مثلا ، لاجدوى لها أو حتى مضحكة فى أول الأمر ، على حين عدت سخافات كتبها واحـــد أو آخر من المغفلين ، عين الحقيقة ولبها ؟ بالمثـــل ، قد تبدو حياتنا الحاضرة – التى نرضى عنها كل هـــذا الرضا – لمن يلينا من أجيـــال . غريبة وعرة ، غبية قذرة ، بل متورطة فى الخطيئة .

تيوزينباخ : من يدرى ؟ ومع ذلك فقد تعتبر الأجيال القادمة حياتنا هذه نبيلة وتمجد ذكراها . لقد

ألغينا التعذيب ، وقضينا على عقوبة الإعدام . ونحن الآن نعيش فى أمان ، ومع ذلك فما أكثر ما يشوب حياتنا من ألوان الشقاء .

سولينى : (فى صوت ضعيف) لو أنكم تركتم البارون يخوض فى حديث الفلسفة فلن يتناول غداءه قط .

تيوزينباخ : فاسيلى فاسيليفيتش أرجوك أن تتركنى وشأنى (يجلس على مقعد آخر) أنت ، كما تعلم ، غبى .

سولينى : (فى ضعف) ياه .. ياه .. ياه ..

تيوزينباخ : (لفيرشينين) إن العذابات التى نحس بها اليوم ، وهى كثيرة جداً ، تبين أن ثمة تقدماً خلقياً قد طرأ على المجتمع .

فيرشينين : أجل . أجل طبعاً ..

تشيبيوتيكين : قلت الآن يا بارون إن الأجيال القادمة قد تعتبر حياتنا نبيلة فكيف ونحن على كل هذا الصغار (يقف) انظر؟ كم أنا قمئ! .. (عزف على الكمان بالخارج)

ماشا : هذا أندريه يعزف — أخونا .

إيرينا : إنه عالم الأسرة . أظن أنه سيصبح أستاذاً يوماً ما. كان أبونا جندياً ، ولكن ابنه اختار لنفسه طريق الجامعة .

ماشا : كانت هذه رغبة والدنا .

أولجـــا : لقد غظناه اليوم شيئاً ما ، نحن نظن أنه مغرم .

إيرينـــا : يحب سيدة من أهل الناحية . لعلها تأتى هنا اليوم .

ماشا : ليتك ترى ملابسها ! إنها بديعة . وعلى آخر طراز ولكنها رديئة . جونلة صفراء فاقعة غريبة الشكل . ذات أهداب مريعة المنظر . وبلوزة حمراء ، وبشرتها ... يا لها من بشرة !. أندريه لا يحبها . فهو على كل حال له ذوق . إنه فقط يغيظنا . سمعت أمس أنها تنوى الزواج من بروتوبوبوف ، رئيس المجلس المحلى . هذا زوج يوافقها .

(تتجه إلى الباب الجانبى) أندريه ، تعال . تعال ، دقيقة واحدة ياعزيزى .. (يدخل أندريه)

أولجـــا : أخى .. أندريه سيرجييفيتش .

فيرشينين : اسمى فيرشينين .

أندريه : واسمى بروسوروف (يمسح عرق يديه) عينت هنا قائداً للبطارية ؟

أولجـــا : تصور أن الكسندر إيجناتييفيتش من أهالى موسكو !.

أندريه : جميل جداً .. الآن لن تذوق طعم الراحة بسبب شقيقاتى .

فيرشينين : بالعكس ، أنا نفسى أضجرت شقيقاتك .

إيرينــا : انظر هذا الإطار اللطيف الذى أهدانيه أندريه اليوم (ترى الإطار ، لفيرشينين) لقد صنعه بنفسه .

فيرشينين : (ينظر إلى الإطار ، ولا يدرى ماذا يقول) نعم . إنه شىء ...

إيرينـا : وقد صنع أيضاً الإطار الذى تراه على البيانو . (أندريه يلوح بيده ويمضى)

أولجـا : إنه يحمل درجة جامعية ، ويعزف الكمان ، ويصنع الأشياء من الخشب ، فهو فى الواقع « كريتون العجيب » من طراز منزلى ، لا تذهب يا أندريه . إنه اعتاد هذه العادة ؛ أن يترك الناس ويمضى . تعال هنا . !
(تمسك كل من ماشا وإيرينا بذراعيه ، وتأتيان به وهما تضحكان)

ماشا : تعال .. تعال .

أندريه : اتركانى وشأنى من فضلكما :

ماشا : أنت شخص مضحك . لقد أطلق الناس على الكسندر اجناتيفيتش اسم « الميجور المتيم » فلم يأبه ..

فيرشينين : مطلقاً . .

ماشا : أود أن أسميك أنت العازف المتيم .

إيرينـا : أو الأستاذ المتيم .

أولجـــا : إنه مغرم ! أندريه الصغير مغرم !

إيرينـــا : (تصفق) برافو . برافو ! أعد ! أندريه الصغير مغرم .

تشيبيوتيكين : (يلف من وراء أندريه ويمسك به من وسطه بذراعيه) لقد دفعت بنا الطبيعة إلى الحياة لمجرد أن نحب (ينفجر ضاحكاً ، ثم يجلس ويقرأ صحيفة يخرجها من جيبه) .

أندريه : كفى . كفى .. (يمسح وجهه) لم أستطع النوم طيلة ليلة الأمس ، وهأنذا لا تكاد تحملني قدماى . قرأت حتى الرابعة صباحاً . ثم حاولت أن أنام ، ولكني لم أفلح . أخذت أفكر فى شيء تلو الآخر ، ثم طلع الفجر ، وزحفت الشمس إلى مخدعى . أريد فى هذا الصيف وأنا هنا أن أترجم كتاباً انجليزياً ..

فيرشينين : أتعرف الإنجليزية ؟

أندريه : نعم إن أبانا ، رحمه الله ، علمنا بما يشبه العنف . وقد أبدو لك مضحكاً أو سخيفاً حين أقول إننى بعد موته أخذت أسمن وأتكور ، كما لو كان جسمى قد رفع عنه ضغط كبير . ولكنها الحقيقة . بفضل أبى نتكلم الآن ، أنا وأخواتى : الفرنسية ، والألمانية ، والإنجليزية ،

بينما تعرف إيرينا الإيطالية أيضاً ، وقد دفعنا لقاء كل هذا ثمناً فادحاً .

ماشا : معرفة ثلاث لغات ترفٌ لاضرورة له فى هذه البلدة . إنه ليس ترفاً فحسب . بل هو تزيّد لا فائدة فيه ، كأن تنبت للإنسان أصبع سادسة مثلا . إننا نعرف أكثر مما نحتاج إليه ...

فيرشينين : آه . حقّاً ؟ (يضحك) وإذن فأنتم تعرفون أكثر مما تحتاجون إليه ! لاأظن أن هناك بلدة يبلغ بها الانحطاط حد التنكر لإنسان ماهر مثقف مثلك . فلنفرض أن بين المائة ألف ممن يسكنون بلدتنا هذه، ثلاثة فقط يدانونك ثقافة . فماذا يحدث ؟ بالطبع لن تستطيعوا أن تقهروا ذلك الجهل الأسود المحيط بكم . . ستتقدم بكم السن ، ورويداً رويدا ... تضطرون إلى التسليم فى واقعة بعد أخرى ، ثم تبتلعكم جموع المائة ألف بشرى وتمتصكم حياتهم . ولكن لاتظنى أنكم ستختفون دون أن تتركوا وراءكم أثراً . فلن يلبث أن يخلفكم آخرون . ربما كانوا ستة فى هذه المرة . ثم اثنى عشر وهكذا .. حتى يصبح من هم على شاكلتكم كثرة من الناس فى نحو مائتين أو ثلاثمائة من السنين

ستكون الحياة على هذه الأرض أجمل وأعجب من أن يلحقها خيال . إن البشرية تحتاج حياة كهذه فإن لم تتحقق الآن لنا ، فعلينا أن نتطلع إليها ، وننتظرها ، ونتهيأ لها . علينا أن نرى ونعرف أكثر مما رأى وعرف أباؤنا وأجدادنا (يضحك) ثم تقولين : إنك تعرفين أكثر مما ينبغي ! .

ماشا : (تخلع قبعتها) سأتناول معكم الغداء .

إيرينا : (تتنهد) أجل ، ينبغي أن يدون هذا الذى قيل . (يكون أندريه قد خرج فى هدوء)

تيوزينباخ : تقول : إنه بعد عشرات السنين ستصبح الحياة على هذه الأرض جميلة وعجيبة . وهذا حق .. ولكن إذا أردنا أن نشارك فى هذه الحياة من الآن ، ولو على مبعدة ، وجب أن نتهيأ للعمل .

فيرشينين : أجل . يا لكثرة ما عندكم من زهور . (ينظر حواليه) ويالها من شقة بديعة ، إننى أحسدكم ! لقد قضيت حياتى كلها فى حجرات ليس فيها إلا كرسيان وأريكة ومدافئ دائمة التدخين ، لم يكن لى قط زهور مثل هذه الزهور . (يفرك يديه) طيب .. طيب ..

تيوزينباخ : أجل علينا أن نعمل، ربما تقولون لأنفسكم « إن هذا الألمانى يكثر من الكلام ، ولكنى أؤكد لكم أننى روسى ، حتى الألمانية لا أتكلمها . لقد كان أبى من أتباع الكنيسة الأرثوذكسية (صمت) ..

فيرشينين : (يتمشى فى أرجاء المسرح) كثيراً ما أقول لنفسى : لنفرض أنه كان فى إمكاننا أن نبدأ حياتنا من جديد ، ونحن على وعى بما نريد أن نحققه لأنفسنا ، لنفرض أنه كان فى إمكان الواحد منا أن يستخدم حياته الذاهبة كمسودة لحياة أخرى جديدة ؟ ماذا كان يحدث إذن ؟ أعتقد أن كلاً منا كان يسعى ، قبل كل شىء ، إلى أن يحيا حياة جديدة ، أو فى القليل كان يحاول أن يعيد النظر فى أسلوب حياته الراهنة فيعمل على أن يضمن لنفسه حجرات كهذه وزهوراً وأنواراً .. إن لى زوجة وبنتين وزوجتى عليلة .. إلى آخره . فلو قدر لى أن أبدأ حياتى من جديد فلن أتزوج .. لا . لا ..
(يدخل كوليجين فى رداء المدرسة الموحّد) .

كوليجين : (يتقدم إلى إيرينا) أختى العزيزة ، اسمحى لى أن أهنئك فى هذا اليوم المقدس بالنسبة للملاك

الحارس ، وأن أرجو لك ، بإخلاص ومن أعماق قلبي الصحة الطيبة ، وكل ما يتمنى المرء لفتاة فى مثل سنك .. ثم دعيني أقدم لك هذا الكتاب هدية مني . (يعطيها إياه) إنه تاريخ مدرستنا الثانوية فى الخمسين عاماً الماضية ، كما دونته أنا . إنه كتاب عديم القيمة ، كتبته لأني لم أجد شيئاً آخر أعمله ، ولكن اقرئيه مع كل هذا . طاب يومكم أيها السادة (لفيرشينين) اسمى كوليجين ، وأنا مدرس بمدرسة البلدة الثانوية (لإيرينا) فى هذا الكتاب تجدين قائمة بأسماء كل من أتموا الدراسة بالمدرسة فى الخمسين عاماً الماضية . (يقبل ماشا)

إيرينـــا : ولكنك أعطيتنى نسخة من الكتاب فى عيد الفصح الماضى .

كوليجين : (يضحك) لا يمكن ! إذن اعطينى هذه النسخة أو اعطيها للكولونيل . خذها يا كولونيل . قد تقرأها فى يوم تكون فيه ضجراً ..

فيرشينين : شكراً (يتهيأ للرحيل) أنا جد سعيد لأننى تعرفت ..

أولجــــا : أيجب أن ترحل ؟ لا تفعل . ليس بعد ..

إيرينـــا : امكث وتناول معنا الغداء .

أوجـــــا : افعل . من فضلك .

فيرشينين : (ينحنى بالتحية) الظاهر أننى جئت فى يوم عيد القديسة راعيتك . اعذرينى فلم أكن أعلم ولم أتقدم بالتهنئة .

(يذهب مع أوجا إلى غرفة الطعام)

كوليجين : اليوم هو الأحد يوم الراحة ، دعونا نستريح ونمرح : كلا بالطريقة التى تلائم سنه ومزاجه، علينا أن نرفع الأبسطة ونخزنها حتى الشتاء ، فقد جاء الصيف ؛ وأن نستعمل لحفظها المسحوق الفارسى أو النفتالين . كان الرومان أصحاء لأنهم عرفوا كيف يعملون وكيف يستريحون، كان لهم «العقل السليم فى الجسم السليم» ، كانت حياتهم تجرى على نمط محدد معروف . يقول ناظر المدرسة : « إن أهم ما فى الحياة هو نمطها ، وكل من يفقد نمطه يفقد نفسه» ، والشىء نفسه ينطبق على حياتنا اليوميـــة (يمسك ماشا من وسطها وهو يضحك) ماشا تحبنى ، زوجتى تحبنى . يجب أن تنزعوا ستائر النوافذ أيضاً وتخزنوها مع الأبسطة . إننى اليوم أشعر برضا بالغ عن الحياة . ماشا ، علينا أن نكون فى بيت ناظر المدرسة فى الرابعة لقد نظموا

نزهة على الأقدام للمعلمين وعائلاتهم .

ماشا : لن أذهب .

كوليجين : (مجروحاً) لماذا يا عزيزتى ماشا ؟

ماشا : سأخبرك فيما بعد . (فى غضب) حسناً إذن . سأذهب ، فقط أرجوك أن تبعد عنى .

(يتأخر عنها)

كوليجين : ثم نقضى السهرة فى بيت المدير . إن هذا الرجل، رغم اعتلال صحته ، ينفق أكبر جهده فى النشاط الاجتماعى ، إنه شخصية فذة مضيئة ، رجل عجيب ، وأمس بعد انفضاض جلسة اللجنة قال لى .. أنا متعب يا فيودور اليتش، أنا متعب ! (ينظر إلى ساعة الحائط ثم إلى ساعته) ساعتكم بها سبع دقائق تقديم . وأضاف المدير : « نعم أنا متعب » (عزف كمان بالخارج) .

أولجـــــا : لنذهب لتناول الغداء . لدينا تحفة من تحف الفرن !

كوليجين : عزيزتى أولجا ، يا عزيزتى . أمس أخذت أعمل حتى السابعة مساء وتعبت أشد التعب ، واليوم أنا سعيد (يذهب إلى غرفة الأكل) .

تشيبيوتيكين : (يضع صحيفته فى جيبه . ويمشط لحيته) فطيرة ؟ مدهش !

ماشا : (لتشيبيوتيكين فى شدة) اسمع : لن تشرب شيئاً اليوم . أفاهم ؟ إن الشرب مضر بصحتك.

تشيبيوتيكين : لا يهمك هذا .. إننى لم أسكر من عامين ، وعلى كل حال فالصحة والمرض سواء بالنسبة إلىّ ...

ماشا : ليكن ، إياك أن تشرب ، مع هذا (فى غضب وصوت خفيض حتى لا يسمعه زوجها) أمسية سخيفة أخرى عند المدير ، يا للعنة !

تيوزينباخ : لو كنت مكانك ما ذهبت ، هكذا ببساطة ..

تشيبيوتيكين : لا تذهبى ..

ماشا : أجل « لاتذهبى » كأنما هذا هو الحل السعيد . إنها حياة لعينة لا تحتمل .

تشيبيوتيكين : (يتبعها) ليست بكل هذا السوء ...

سولينى : (يدخل غرفة الأكل) ما شاء الله . ما شاء الله.

تيوزينباخ : فاسيلى فاسيليفيتش ، كفى هراء . اسكت ..

سولينى : ما شاء الله . ما شاء الله .

كوليجين : (فى مرح) فى صحتك يا كولونيل ! أنا مرب فلا أحس هنا بأننى مرتاح . أنا زوج ماشا . سيدة كريمة العنصر . كريمة جداً ..

فيرشينين : سأشرب شيئاً من هذه الفودكا السوداء (يشرب)

فى صحتك (لأولجا) أنا هنا سعيد جداً (إيرينا وتيوزينباخ هما الوحيدان الآن فى غرفة الجلوس)

إيرينـــا : ماشا عصبية اليوم .. لقد تزوجت وهى فى الثامنة عشرة وكان زوجها يبدو لها إذ ذاك أحكم الناس ... أما الآن فالأمر مختلف . إنه أطيب الناس قلباً ، لكنه ليس أحكمهم .

أولجـــا : (فى نفاد صبر) أندريه متى تأتى ؟

أندريه : (من بعيد) دقيقة واحدة (يدخل ويتجه إلى المائدة) .

تيوزينباخ : فيم تفكرين ؟

إيرينـــا : أنا لاأحب هذا السوليني .. بل إننى أخافه . هو لاينطق إلا بكل سخيف .

تيوزينباخ : إنه غريب الأطوار . وأنا أرثى له ، رغم أنه يغيظنى . أعتقد أنه خجول بطبيعته . حينما نكون معاً نحن الاثنين فقط ، يصبح عادياً ورفيقاً مؤنساً. ولكنه فى حضرة الناس يصير خشناً يسىء معاملة من هم دونه لنبق هنا وندعهم يتناولون الغداء ... دوننا . دعينى أبقى معك . فيم تفكرين ؟ (صمت) أنت فى العشرين . وأنا لم أبلغ الثلاثين بعد .. ما أكثر ما أمامنا

من سنين ، صفوف وراء صفوف من الأيام الطويلة المليئة بحبي لك .

إيرينـــا : نيكولاى لفوفيتش .. لاتحدثنى عن حبك لى ..

تيوزينباخ : (لا يسمع) إن بى ظمأ شديداً للحيـــاة ، للنضال ، للعمل . وهذا الظمأ قد امتزج بحبى لك يا إيرينا ، وأنت رائعة الحسن والحياة جميلة فى عينىّ ! فيم تفكرين ؟

إيرينـــا : تقول : إن الحياة جميلة . وددت لو رأيتها كذلك . إن حياتنا ، نحن الثلاثة ، لم تكن جميلة حتى الآن . لقد كتمت الحياة أنفاسنا كما لو كنا حشائش ضارة . إننى أبكى . ولا ينبغى أن أفعل (تمسح دموعها وتبتسم) علينا أن نعمل ، نعمل ، إن بطالتنا سبب شقائنا ، ومصدر النظرة الحزينة التى ننظر بها إلى الدنيا . إننا لا نعرف ما هو العمل ، وآباؤنا كانوا يحتقرون العمـــل . (تدخل ناتالينا إيفانوفنا ، ترتدى رداء وردياً وحزاماً أخضر)

ناتاشا : بدأوا الأكل . تأخرت . (تنظر إلى نفسها فى المرآة بعناية وتصلح من هيأتها) أظن أن تسريحة شعرى ملائمة (ترى إيرينا) عزيزتى

إيرينا سيرجيفينا . أهنئك . (تقبلها طويلا وبقوة) عندكم زوار كثيرون فيا لخجلي .. كيف حالك يا بارون ؟

أولجـــــا : (تأتي من غرفة الأكل) هذه نتالينا إيفانوفنا قد حضرت . كيف حالك يا عزيزتي !

ناتاشا : كل عام وأنتم بخير . إنني خجول جداً . وعندكم ناس كثيرون .

أولجـــــا : كلهم أصدقاؤنا . (بصوت خفيض فيه فزع) تلبسين حزاماً أخضر ! يا عزيزتي ، هذا لا يليق .

ناتاشا : هل هو دلالة سيئة ؟

أولجـــــا : لا ... ولكنه لا ينسجم مع باقي الرداء . ومنظره غريب .

ناتاشا : (في صوت باك) صحيح ؟ ولكنه ليس أخضر في الواقع . إنه أشد انطفاء من أن يكون أخضر . (تدخل غرفة الأكل مع أولجا . الجميع الآن حول المائدة ، وغرفة الجلوس خالية) .

كوليجين : أرجو أن يتقدم لك خطيب جميل يا إيرينا . لقد حان وقت زواجك .

تشيبيوتيكين ; وأتمنى لك الأمنية نفسها يا نتاليا إيفانوفنا .

كوليجين : لنتاليا إيفانوفنا خطيب فعلا .

ماشا : (تنقر بشوكتها على الطبق) تعالوا نسكر جميعاً ، ونحيا حياة الملوك ولو مرة !

كوليجين : خصم ثلاث درجات من سلوكك ..

فيرشينين : هذا شراب جميل . أى شراب هو ..؟

سوليني : صنع من الخنافس السوداء .

إيرينـا : (فى دموع) يو .. يا للقرف ..

أولجـا : فى العشاء سنتناول ديكاً محمراً وفطيرة تفاح . كم أنا سعيدة لأننى أستطيع البقاء بالمنزل طيلة النهار والمساء .. طبعاً ستأتون فى المساء أيضاً ، أيها السيدات والسادة ..

فيرشينين : وهل تسمحون لى أنا أيضاً بالمجىء ..

إيرينـا : تفضل بالحضور .

ناتاشا : إنهم هنا لا يعبأون بالرسميات .

تشيبيوتيكين : منحتنا الطبيعة الحياة كى نحب (يضحك) .

أندريه : (فى غضب) من فضلك اسكت .. ألا تتعب أبداً من ترديد هذا ؟ (يدخل فيدوتيك ورود يحملان سلة كبيرة من الزهور)

فيدوتيك : لقد بدأوا الأكل فعلا .

رود : (بصوت عال غليظ) نعم .. لقد فعلوا .

فيدوتيك : انتظروا لحظة .. (يلتقط صورة) هذه واحدة . لا ؛ لا تتحركوا .. لحظة واحدة .

(يلتقط صورة أخرى) اثنتين . الآن نحن مستعدان .. (يأخـذان السلة ويمضيان إلى غرفة الأكل حيث يستقبلان اسـتقبالا صاخباً) .

رود : (فى صوت عال) تهانينا وأطيب أمنياتنا ! الجو بديع اليوم ، تام الروعة ، كنت طيلة الصباح أصحب طلبة المدرسة الثانوية . إننى أقوم بتمريناتهم الرياضية ..

فيدوتيك : تستطيعين أن تتحركى يا إيرينا سيرجيفينا (يلتقط صورة) أنت جميلة اليوم .
(يخرج من جيبه نحلة) هذه بالمناسبة : نحلة موسيقية لها لحن جميل .

إيرينـا : يا للبداعة .

ماشا : قرب البحر شجرة بلوط خضراء
وحواليها حلقة من الذهب الوهاج .
حلقة من الذهب الوهاج .
(فى دموع) لماذا أردد هذه الأغنية ؟ لقد ظلت كلماتها تطن فى أذنى طيلة النهار ..

كوليجين : إننا ثلاثة عشر على المائدة ..

رود : (بصوت عال) أنت طبعاً لا تؤمن بهذه الخرافة (يضحك) .

كوليجين : وجود ثلاثة عشر شخصاً معناه أن بيننا أحبة . يا للمصيبة ! أنا لا أعنيك أنت يا إيفـــان رومانوفيتش .. (ضحك) .

تشيبيوتيكين : أنا طبعاً « مجرم معتاد » ولكنني مع هذا لا أرى لماذا يتضرج وجه ناتاليا احمراراً (ضحك عال .. وتخرج ناتاشا بسرعة إلى غرفة الجلوس يتبعها أندريه) .

أندريه : لا تعبئي بهم !. انتظري . قفي لحظة من فضلك ..

ناتاشا : إنني خجول . لست أدري ماذا بهيئتي ، وهم كلهم يضحكون مني .. أعلم أنه ليس لطيفاً مني أن أترك المائدة على هذه الصورة . ولكنني لم أستطع الصبر ، لم أستطع (تغطي وجهها بيديها)

أندريه : يا عزيزتي أرجوك .. أتوسل إليك ألا تستثيري نفسك.. أؤكد لك أنهم يمزحون . إنهم طيبون كلهم . يا عزيزتي ، يا فتاتي الطيبة ، إنهم كلهم طيبون مخلصون ، وهم يحبونك ويحبونني . تعالي هنا إلى النافذة فلن يروننا هنا (ينظر حواليه)

ناتاشا : أنا غير معتادة أن أقابل الناس !

أندريه : آه يا لشبابك ، يا لشبابك الرائع الجميل !
يا غاليّ لاتثيرى نفسك ! صدقينى ، صدقينى
أنا جد سعيد ، وروحى ملآنة بالحب والنشوة ..
إنهم لا يروننا ، لا يمكن أن يرونا ! لماذا ،
لماذا . أو أين وقعت فى غرامك ؟ أوه أنا لاأفهم
شيئاً . يا عزيزتى ، يا غاليتى الوحيدة ، كونى
زوجتى . أحبك أحبك . كما لم أحبك قط .
(يتبادلان القبل . يدخل ضابطان وحينما يريان
الحبيبين فى عناق . يقفان مندهشين)

« ستار »

الفصل الثانى

(المنظر السابق نفسه . الوقت .. الثالثة بعد الظهر . يسمع عزف على الأكورديون يأتى من الشارع . ليس فى الغرفة نار .. تدخل ناتاليا إيفانوفنا فى ملابس البيت وفى يدها شمعة تقف إلى جوار الباب المؤدى إلى غرفة أندريه ...)

ناتاشا : ماذا تفعل يا أندريه ؟ هل تقرأ ؟ لا شىء ، أردت فقط (تفتح باباً آخر وتنظر إلى الداخل ثم تغلقه) ألا توجد نار فى المدفأة ..؟

أندريه : (يدخل وفى يده كتاب) ماذا تفعلين يا ناتاشا ؟

ناتاشا : أردت أن أعرف : هل توجد نار فى المدفأة . إن اليوم عيد الاعتراف ، والخادمة تكاد تجن ، وعلىّ أن أحترس حتى لا يقع حادث . حينما دخلت غرفة الأكل فى منتصف الليلة الماضية وجدت شمعة مضاءة ، ولم أستطع أن أحملها على أن تقول من أضاءها (تضع شمعتها) كم الساعة ؟

أندريه : (ينظر إلى ساعته) الثامنة والربع .

ناتاشا : ولم تعد أولجا ولا إيرينا بعد . إن المسكينتين لا تزالان تعملان . أولجا فى مجلس المدرسين وإيرينا فى مكتب التلغراف (تتنهد) قلت لأختك صباح اليوم « إيرينا ، أيتها العزيزة ، حافظى على نفسك » . ولكنها لاتأبه لنصحى . هل قلت إن الساعة الثامنة والربع ؟ أخشى أن يكون بوبيك الصغير مريضاً . لماذا هو بارد هكذا ؟ أمس كان محموماً أما اليوم فهو بارد . أنا مرتاعة جداً .

أندريه : لا تخافى يا ناتاشا . الولد بخير .

ناتاشا : ليكن ، ولكنى أعتقد أنه من الأفضل أن نعمل له رجيما . كم أنا خائفة ! والفنانون قالوا : إنهم سيحضرون بعد التاسعة . الأحسن ألا يجيئوا الآن يا أندريه .

أندريه : أتعتقدين هذا ؟ اذكرى أننا نحن دعوناهم .

ناتاشا : هذا الصباح حينما صحا الصغير من نومه ورآنى ، ابتسم فجأة . هذا يدل على أنه عرفنى . قلت له «صباح الخير يا صغيرى بوبيك ، صباح الخير ياحبيبى» فضحك . إن الأطفال يفهمون . يفهمون جيداً .. لهذا سأقول للخدم ألا يدعوا الفنانين يدخلون ..

أندريه : (فى تردد) ولكن ماذا نقول لشقيقاتى .. ؟ هذه شقتهن .

ناتاشا سيتزان على رغبتى . هن لطيفات (ذاهبة) طلبت أن يقدم لك اللبن الرايب فى العشاء . يقول الطبيب : إنك لن تحس حتى تأكل اللبن الرايب ، ولا شىء غيره (تقف) الولد يحس ببرودة . أخشى أن تكون غرفته أبرد من أن يحتملها . من الخير أن أضعه فى غرفة أخرى حتى يأتى الدفء . غرفة إيرينا ، مثلا ، تلائمه تماماً ، إنها جافة وتدخلها الشمس طول النهار . سأخبرها بهذا . وهى تستطيع أن تشارك أولجا غرفتها . إنها لا تأتى إلى البيت نهاراً قط . فقط تنام هنا بالليل (صمت) حبيبى أندريه . لماذا أنت صامت هكذا ..؟

أندريه : كنت أفكر ... ليس لدىّ ما أقوله فى الحقيقة :

ناتاشا : اسمع : أريد أن أقول لك شيئاً .. أريد أن أتذكره أولا . نعم هذا هو : فيرابونت قدم من المجلس ويريد أن يراك .

أندريه : (يتثاءب) أدخليه هنا .

(ناتاشا تخرج . يقرأ أندريه فى كتابه ، وهو

منحن على الشمعة التى تركتها زوجته . يدخل فيرابونت . يرتدى سترة قديمة ممزقة مرفوعة الياقة ، وقد غطيت أذناه بوشاح) .

أندريه : صباح الخير يا جدى . ماذا تطلب ؟

فيرابونت : رئيس المجلس أرسل لك كتاباً وبعض وثائق أو ما أشبه . هذه هى .. (يعطيه كتاباً وربطة)

أندريه : شكراً . لماذا لم تأت قبل هذا ؟ إنها الثامنة والنصف الآن .

فيرابونت : ماذا تقول ؟

أندريه : (يرفع صوته) أقول : إنك تأخرت . الساعة تعدت الثامنة .

فيرابونت : نعم نعم . جئت قبل مغيب الشمس ، ولكنهم لم يسمحوا لى بالدخول . قالوا إنك مشغول ، فماذا كنت أستطيع أن أفعل ؟ إذا كنت مشغولا فأنت مشغول . وأنا لا شىء يدعونى للعجلة (يظن أن أندريه يسأله عن شىء) ماذا ؟

أندريه : لا شىء (ينظر فى الكتاب) غداً الجمعة وأنا لا أذهب إلى المكتب عادة . ولكنى سأذهب مع هذا .. وأعمل قليلا : الحياة مملة فى البيت . (صمت) أيها العجوز العزيز . غريبة هى الحياة فى تغيرها ، ما أشد ما تخدعنا ! اليوم

من فرط الضجر التقطت هذا الكتاب .. وهو مجموعة محاضرات جامعية قديمة ، فلم أستطع أن أمنع نفسى من الضحك . يا إلهى إنى سكرتير المجلس المحلى ، المجلس الذى يرأسه بروتوبوبوف . أجل أنا السكرتير .. ومنتهى ما يبلغ إليه أملى أن أصبح عضواً بالمجلس . أنا أصبح عضواً بالمجلس المحلى ! أنا الذى يحلم فى كل ليلة بأن يصبح أستاذاً فى جامعة موسكو ، وعالماً كبيراً تفخر به روسيا كلها . !

فيرابونت : أنا لا أسمعك . سمعى ثقيل .

أندريه : لو لم تكن شبه أصم ، ما ظننت أننى محدثك فى هذا الشأن . يجب أن أنفّس عن نفسى بالحديث إلى شخص ما ، وزوجتى لا تفهمنى وأخاف الحديث إلى شقيقاتى شيئاً ما — لا أدرى لماذا ، وإن كنت أظن أن هذا راجع إلى أنهن يسخرن منى ، ويجعلننى أشعر بالخجل . وأنا لا أشرب ولا أحب الحانات ولكن ، ما أشد ما أحب أن أكون جالساً الآن فى حانة تيبستوف فى موسكو . أو فى حانة « موسكو العظيمة » أيها العجوز العزيز !

فيرابونت : موسكو ؟ قال لى واحد من المقاولين إنه رأى بعض التجار يأكلون الفطائر المحلاة هناك : أكل واحد منهم أربعين فطيرة ثم مات .. أربعين أو خمسين فطيرة لا أذكر أيهما ..

أندريه : فى موسكو تستطيع أن تجلس فى مطعم هائل لا تعرف أحداً فيه . ولا يعرفك فيه أحد ، ومع ذلك لا تشعر بأنك غريب . وهنا تعرف كل الناس . والناس كلهم يعرفونك ومع ذلك فأنت غريب ... غريب ووحيد ..

فيرابونت : ماذا ؟ والمقاول نفسه قال لى : إن هناك حبلا يمتد عبر موسكو كلها .

أندريه : وما فائدته ؟

فيرابونت : لا أدرى . المقاول قال هذا .

أندريه : كلام فارغ (يقرأ) هل ذهبت إلى موسكو فى حياتك ؟

فيرابونت : (بعد قليل) لا .. لم يشأ الله لى أن أذهب (صمت) هل أتركك الآن ؟

أندريه : افعل . مع السلامة (يخرج فيرابونت) مع السلامة (يقرأ) تعال غداً وخذ هذه الأوراق .. عجّل بالخروج (صمت) لقد ذهب (صوت جرس) حاضر ... حاضر ...

(يتمطّى ويدخل غرفته فى بطء . خلف المنظر ، ترى المربية تغنى للطفل كى ينام . تدخل ماشا وفيرشينين . أثناء حديثهما توقد خادم الشموع والمصباح)

ماشا : لا أدرى (صمت) لا أدرى . بالطبع للعادة فى هذا دخل كبير ؛ بعد موت أبى مثلا ظللنا وقتاً طويلا ونحن نفتقد جنود المراسلة . ولكن ، بصرف النظر عن تأثير العادة ، يبدو لى ، مهما يكن من أمر البلدان الأخرى ، أن أحسن الناس وأكثرهم تعليما هنا هم رجال الجيش ..

فيرشينين : أنا ظمآن . أريد بعض الشاى .

ماشا : (تنظر إلى ساعتها) سيقدم الشاى حالا .. لقد زوجونى حينما كنت فى الثامنة عشرة . وكنت خائفة من زوجى أول الأمر ، لأنه كان مدرساً وكنت أنا قد تخرجت فى المدرسة منذ وقت قصير . لقد بدا لى إذ ذاك هائل الحكمة كثير المعرفة ، كبير الأهمية . أما الآن فقد ذهب هذا الوهم مع الأسف .

فيرشينين : أجل . أجل :

ماشا : لست أعنى بما سأقوله حالاً ، زوجى . فقد

اعتدت أحواله ، ولكن المدنيين فى الغالب خشنو الطباع ، سيئو الأدب . غير متعلمين . إن وقاحتهم تؤذينى وتغضبنى . أنا أتألم حينما أرى رجلا قليل التهذيب أو الرقة أو الأدب . إننى أسقى كؤوس العذاب ، حينما أكون بين زملاء زوجى من المدرسين .

فيرشينين : أجل .. يبدو لى مع هذا أن المدنيين ورجال الجيش كلاهما مسلٍّ وطريف .... فى هذه البلدة على الأقل . الكل سواء ! لو استمعت إلى أحد أفراد الانتيليچينسيا المحلية ، مدنياً كان أم عسكرياً ، فستجدينه ضيقاً بزوجته وبمنزله وبعزبته وبجياده .. نحن الروس لنا قدرة رائعة على التفكير المتسامى . ولكن قولى لى بربك لماذا نهبط إلى هذا الحد فى واقع حياتنا ؟ لماذا ؟

ماشا : لمـــاذا ؟

فيرشينين : لماذا يضيق الروسى بأبنائه وزوجته ؟ ولماذا تضيق به زوجته وأبناؤه ؟

ماشا : أنت محزون شيئاً ما ، اليوم .

فيرشينين : ربما . أنا لم أتناول عشائى بعد .. لم آكل شيئاً منذ الصباح ، وابنتى تشكو بعض المرض .. وحينما تمرض بناتى أشعر بقلق شديد ، وأحس

بوخز الضمير لأنى اخترت لهن مثـــل هذه الأم . لو كنت رأيتها اليوم ! يا لها من شخصية تافهة ! بدأنا نتشاجر من السابعة صباحاً ، وفى التاسعة صفقت الباب بشدة ، وخرجت (صمت) أنا لا أتحدث عنها قط ، ومن الغريب أننى أختصك بشكواى (يقبل يديها) لا تغضبى على ... مالى سواك . لا أحد على الإطلاق .. (صمت) .

ماشا : ياله من صوت فى الفرن . قبل وفاة أبى مباشرة أحدثت المواسير صوتاً كهذا الصوت .

فيرشينين : أتؤمنين بالخرافات ؟

ماشا : نعم ..

فيرشينين : غريب (يقبل يديها) أنت امرأة رائعة ، عجيبة . رائعة ، عجيبة ! المكان مظلم هنا ولكننى أرى عينيك تتألقان .

ماشا : (تجلس على كرسى آخر) هنا أكثر نوراً ..

فيرشينين : أحبك . أحبك . أحب عينيك ، وحركاتك ، وأحلم بها . امرأة عجيبة رائعة !

ماشا : (ضاحكة) حينما تحدثنى على هذا النحو ، أجدنى أضحك . لا أدرى لماذا ؟ لأننى فى الواقع أشعر بالخوف . لا تكرر ما قلت الآن

من فضلك (فى صوت خفيض) لا ، بل استمر ، فالأمر عندى سيان (تغطى وجهها بيديها) إنسان ما يتجه إلينا . فلنتحدث فى شيء آخر .. (تدخل إيرينا وتيوزينباخ من غرفة الأكل) .

تيوزينباخ : إن اسم أسرتى هو فى الواقع ثلاثة أسماء : فى واحد . إننى أدعى البارون « تيوزينباخ — كرون — التسشاور » ، ولكننى روسى أورثوذكسى مثلك . لم يعد بى من الألمانى شيء ، اللهم إلا الإلحاح والعناد اللذان أضجرك بهما . آية هذا أننى أوصلك لمنزلك كل ليلة .

إيرينـــا : شد ما أنا متعبة !

تيوزينباخ : وسأظل أذهب إلى مكتب التلغراف كل يوم عشر سنوات أو عشرين حتى تطردينى طرداً (يرى ماشا وفيرشينين . يقول فى مرح) أهذان أنتما ؟ كيف الحال ؟

إيرينـــا : أنا فى البيت أخيراً . (لماشا) اليوم قدمت سيدة إلى المكتب لترسل برقية لأخيها فى سراتوف تنبئه فيها بأن ابنها مات اليوم . ولكنها لم تكن تذكر عنوان أخيها .. فأرسلت البرقية دون عنوان . إلى سراتوف وحسب . كانت تبكى ،

ولا أدرى لماذا عاملتها بفظاظة . قلت لها :
« لا تضيعى وقتى » . يا لها من غباوة منى ..
هل سيأتى الفنانون الليلة ؟

ماشا : نعم ..

إيرينــا : (تجلس فى مقعد وثير) أريد أن أستريح أنا متعبة .

تيوزينباخ : (مبتسما) حينما تعودين من عملك تبدين جد صغيرة وجد .. تعسة (صمت) .

إيرينــا : أنا متعبة ... لا ، أنا لا أحب مكتب التلغراف . لا أحبه .

ماشا : لقد نحلت .. (تصفر قليلا) وأنت الآن أصغر سنا . ووجهك أصبح شبيهاً بوجه الولد .

تيوزينباخ : هذا سببه تسريحة شعرها .

إيرينــا : يجب أن أبحث عن عمل آخر . عملى الحالى لا يلائمنى .. إن ما كنت أريده ، وما أملت الحصول عليه لا يوجد هنا . عمل بلا فن ، بلا أفكار . (طرق على الباب) الطبيب أتى (لتيوزينباخ) أتسمع طرق الباب ياعزيزى ؟ أنا لا أستطيع ... متعبة (تيوزينباخ يطرق) سيأتى حالا . يجب أن نفعل شيئاً . بالأمس لعب أندريه والطبيب الورق فى النادى وخسرا

بعض المال . يبدو أن أندريه فقد مائتى روبل ..

ماشا : (بلا احتفال) وماذا نستطيع أن نفعل الآن؟

إيرينـــا : لقد خسر مبلغاً آخر من أسبوعين وثالثاً فى ديسمبر . لعله لو خسر كل ماله لحملنا هذا على الرحيل من هذه البلدة . يا إلهى إننى أحلم بموسكو كل ليلة . إننى كالمجنونة سواء بسواء (تضحك) سنذهب إلى موسكو فى يونيو . ومن هنا حتى يونيو هناك فبراير ومارس وأبريل ومايو .. نصف عام تقريباً . !

ماشا : فقط علينا ألا نخبر ناتاشا بهذه الخسائر .

إيرينـــا : أظنها لن تتأثر كثيراً لو سمعت بها .

(يدخل تشيبيوتيكين إلى غرفة الأكل ، ويمشط لحيته ثم يجلس إلى المائدة ويخرج صحيفة من جنبه . كان مستريحاً فى سريره بعد العشاء وقدم لتوه من هناك)

ماشا : هذا هو .. هل دفع إيجاره ؟

إيرينـــا : (تضحك) لا . لقد مضت عليه ثمانية أشهر لم يدفع فيها كوبيكاً واحـــداً . يبدو أنه نسى ..

ماشا : (تضحك) يا للعظمة تشيع فى جلسته !

(يضحكون جميعاً . صمت)

إيرينـــا : لمـــاذا أنت صامت هكذا يا الكسنـــدر إيجناتيفيتش .؟

فيرشينين : لا أدرى . أريد بعض الشاى . أعطى نصف حياتى مقابل قدحٍ من الشاى . لم آكل شيئاً منذ الصباح .

تشيبيوتيكين : إيرينا سيرجيفينا .

إيرينـــا : ماذا تريد ؟

تشيبيوتيكين : تعالى هنا من فضلك .

(تذهب إليه إيرينا وتجلس قرب المـــائدة)

أنا لا غنى لى عنك (تبدأ إيرينا فى لعب البيشنس)

فيرشينين : إذا كنا لن نحصل على شاى فلا أقلّ من أن نتفلسف .

تيوزينباخ : أجل .. نتفلسف . ولكن فى أى موضوع ؟.

فيرشينين : أى موضوع ؟ فلنتأمل .. لنبحث ما يكون من أمر الحياة بعدنا. بعد مائتين أو ثلاثمائةسنة مثلا.

تيوزينباخ : بعد زماننا هذا سيطير الناس فى بالونات ، وستتغير طريقة تفصيل السترات ، وربما اكتشفوا حاسة سادسة فى الإنسان وطوّروها ، ولكن الحياة ستظل ، أساساً ، كما هى ..

مليئة بالعمل ، غامضة ، وسعيدة . وبعد ألف عام ، سيقول الناس كما يقولون اليوم : « الحياة صعبة ! » وفى الوقت نفسه سيخافون الموت كما يخافونه اليوم ، ويرغبون عن لقائه كما نفعل نحن ..

فيرشينين : (فى تفكير) كيف أشرح لكم قصدى ؟ يبدو لى أن كل شىء على ظهر الأرض لا مفرّ له من أن يتغير ، رويداً رويدا ، وهو يتغير فعلا أمام أعيننا . وبعد مائتين أو ثلاثمائة عام ، بل بعد ألف فالزمن الفعلى لا يهم ، ستقوم حياة جديدة سعيدة . نحن بالطبع لن نساهم فيها .. ولكننا اليوم نحيا ونعمل ، بل نقاسى حتى يتسنى لهذه الحياة أن تقوم . إننا نخلقها ، وفى هذا الهدف مصيرنا ، وإن شئتم سعادتنا أيضاً .

(ماشا تضحك فى رقة)

تيوزينباخ : ماذا يضحكك ؟

ماشا : لا أدرى . ظللت طول اليوم أضحك — منذ الصباح .

فيرشينين : لقد أنهيت عملى عند المرحلة نفسها التى وقفتم أنتم عندها . لم أدرس فى الجامعة . وقرأت

كثيراً ، غير أنني لا أحسن اختيار ما أقرأ ، وربما كان ما أقرؤه ليس ما ينبغي لي أن أقرأه . غير أنني كلما تقدمت بي السن زاد شوقي إلى المعرفة . إن شعري يبيضّ ، وقد أوشكت أن أصبح الآن عجوزاً ، ومع هذا فما أعرفه قليل ، قليل حقاً . أحسب مع هذا أنني أعرف من الأشياء أكثرها أهمية وأقربها إلى الواقع . هذه أعرفها جيداً . وبودي لو استطعت أن أنقل إليكم ما أذهب إليه من أنه لا سعادة هناك لنا . لا ينبغي ولا يمكن أن يكون هناك سعادة . من واجبنا أن نعمل ، نعمل . ولن تكون السعادة من نصيب أحد سوى أحفادنا البعيدين (صمت) إذا لم أسعد أنا فليسعد أحفاد أحفادي :

(يدخل فيلوتيك ورود إلى غرفة الأكل .. يجلسان ويغنيان في رقة ، وهما يجذبان أوتار الجيتار)

تيوزينباخ : رأيك أن المرء يجب أن يطرح عنه مجرد التفكير في السعادة ! ولكن لنفرض أنني أشعر بالسعادة فعلا !

فيرشينين : يجب ألا يفكر المرء في السعادة .

تيوزينباخ : (يحرك يده ويضحك) الظاهر أنه لا يفهم أحدنا الآخر . كيف أقنعك ؟ (ماشا تضحك فى هدوء . تيوزينباخ يواصل الحديث وهو يشير إليها) أجل . إضحكى (لفيرشينين) ستظل الحياة كما هى ليس فقط لقرنين قادمين أو ثلاثة ، بل لمليون سنة . الحياة لا تتغير . إنها تظل كما هى . تتبع قوانينها الخاصة وهذه الأخيرة لا شأن لنا بها . أو على الأقل نحن لن نستطيع أن نعرفها قط . الطيور المهاجرة ، الكراكى ، مثلاً تطير وتطير ومهما يمر برؤوسها من أفكار ، سامية كانت أم وضيعة ، فستطير ، وهى لا تدرى لِمَ وإلى أين . ستظل تطير وتطير . حتى لو قام بينها المتفلسفة من الطيور — فلتتفلسف هذه ما شاءت — ولكنها مع ذلك ستطير .

ماشا : ومع هذا ، أهناك معنى ؟.

تيوزينباخ : معنى . ها هو ذا الثلج يتساقط . أى معنى؟! (صمت)

ماشا : يبدو لى أن المرء محتاج إلى الإيمان ، أو أن من واجبه أن يبحث عن إيمان ما ، وإلا أصبحت حياته خالية .. خالية ... تصور أن

يحيا المرء دون أن يعلم لم تطير الكراكى ؟ ولم يولد الأطفال ؟ ولم تتألق النجوم فى السماء ؟.. أما أن يعلم المرء لماذا يعيش أو يصبح كل شيء فى نظره تافها لا يساوى قشه ... (صمت)

فيرشينين : ومع هذا فأنا آسف لضياع شبابى .

ماشا : يقول جوجول : إن الحياة فى هذه الدنيا مسألة مملة . يا سادتى !

تيوزينباخ : وأنا أقول : إن من الصعب مناقشتكم . ياسادتى ! يا للعنة .

تشيبيوتيكين : (يقرأ) تزوج بلزاك فى بيرديتشيف (إيرينا تغنى فى صوت خفيض) هذا يستأهل التدوين (يأخذ مذكرة) بلزاك تزوج فى بيرديتشيف . (يواصل القراءة)

إيرينـــا : (تنشر أمامها أوراق اللعب فى شرود ذهن) بلزاك تزوج فى بيرديتشيف .

تيوزينباخ : قضى الأمر . لقد قدمت استقالتى يا ماريا سيرجييفنا .

ماشا : هكذا سمعت . لست أدرى ما الفائدة من هذا . أنا لا أحب المدنيين .

تيوزينباخ : لابأس .. (ينهض) أنا لست رشيقاً . ما فائدتى كجندى ؟ على كل حال لا فرق بين الحالين .

سأعمل . لو أنني استطعت أن أعمل ولو مرة واحدة فى حياتى ، ثم عدت إلى البيت فى المساء فارتميت منهكاً على فراشى ونمت على الفور . (يدخل غرفة الأكل) . العمال فيما أرى ينامون نوماً عميقاً !

فيوديتك : (لإيرينا) اشتريت لك منذ قليل بعض أقلام التلوين من محل بيزيكوف ، على طريق موسكو . وهذه مطواة صغيرة .

إيرينا : أصبحت عادتك أن تعاملنى كما لو كنت فتاة صغيرة .. لقد كبرت . (تأخذ الأقلام والمطواة بفرح) كم هى بديعة !

فيدوتيك : واشتريت لنفسى مطواة .. انظرى إليها . سلاح ، وآخر ، وثالث ، ومنظف أذن ، ومقص ، ومنظف أظافر ..

رود : (بصوت عال) يا دكتور . كم عمرك ؟

تيوتشيبيكين : أنا ؟ اثنان وثلاثون (ضحك)

فيدوتيك : سأريك طريقة أخرى للعب البيشنس .

(ينشر أمامه الورق . يدخل الساموفار تحت إشراف أنفيسا . بعد قليل تدخل ناتاشا وتساعد الخدم عند المائدة . يأتى سوليني وبعد التحايا . يجلس قرب المائدة)

فيرشينين : يا لها من ريح !
ماشا أجل قد تعبت من الشتاء . لقد نسيت الآن كيف يكون الصيف .
إيرينـــا : كدنا ننتهى من الدور فيما أظن . سنذهب إلى موسكو .
فيدوتيك : لا ، لم ننته بعد . انظرى إن الثمانية كانت على اثنتى البستونى . (يضحك) هذا معناه أنكم لن تذهبوا إلى موسكو .
تشيبيوتيكين : (يقرأ الصحيفة) تسيتسيجار . الجدرى منتشر هناك بشكل وبائى .
أنفيســـا : (تقترب من ماشا) ماشا .. اشربى الشاى : يا صغيرتى (لفيرشينين) وأنت يا سيدى ، تفضل .. اعذرنى ، فقد نسيت اسمك .
ماشا : احضرى لى الشاى هنا يا دادة . لن أذهب إلى حيث أنت .
إيرينـــا : داده !
أنفيســـا : حاضر ، حاضر !
ناتاشا : (لسولينى) الأطفال الرضّع يفهمون تماماً ما يقال لهم . قلت له « صباح الخير يا بوبيك ، صباح الخير يا حبيبى ! » فنظر إلى بطريقة غير عادية . قد تظن أننى أتحدث كأم . ولكنى

أؤكد لك أن الأمر ليس كذلك . إنه طفل عجيب .

سوليني : لو كان طفلى لقليته فى المقلاة وأكلته . (يأخذ قدح الشاى إلى حجرة الجلوس ويجلس فى ركن).

ناتاشا : (تغطى وجهها بيديها) يا لك من سوقىّ ، قليل التربية !

ماشا : سعيد من لا يتبين ما إذا كانت الدنيا شتاء أم صيفاً الآن . أظن أننى لو كنت فى موسكو ما عبأت كثيراً بالجو .

فيرشينين : من أيام قليلة كنت أقرأ مذكرات وزير فرنسى سجين حكم عليه بسبب فضيحة قناة بناما . يا للفرحة ، يا للجذل ، اللذين يتحدث بهما عن طيورٍ كان يراها خلال قضبان نافذة السجن ولم يكن ، وهو وزير ، يلحظ الطيور قط . أما الآن وقد أطلق سراحه فقد عاد إلى سابق إهماله للطيور . حينما تذهبين للسكنى فى موسكو سيحدث لك ما حدث للوزير ... إن السعادة لا وجود لها إلا فى أمانينا .

تيوزينباخ : (يأخذ صندوقاً من الورق المقوّى من على المائدة) أين الفطائر ؟

إيرينـــا : أكلها سولينى .

تيوزينباخ : كلها ؟

أنفيسا : (تقدم الشاى) خطاب لك .

فيرشينين : لى أنا (يأخذ الخطاب) من ابنتى (يقرأ) أجل بالطبع .. سأنصرف بهدوء . اعذرينى يا ماريا سيرجيفنا . فلن أتناول الشاى (يقف فى عصبية) القصة الخالدة .

ماشا : ماذا ؟ أهو سر ؟

فيرشينين : (فى هدوء) زوجتى تناولت السم مرة أخرى . علىّ أن أذهب . سأنصرف فى هدوء . إنه أمر يدعو إلى النكد : (يقبل يد ماشا) يا عزيزتى . يا سيدتى الرائعة الطيبة سأذهب من هنا فى هدوء (يخرج) ..

أنفيسا : أين ذهب؟ وبعد أن صبّت الشاى .. أما رجل !

ماشا (بعصبية) اسكتى . إنك تضايقين الناس إلى درجة أننا لا نستريح منك لحظة ....
(تذهب إلى المائدة بفنجانها) لقد ضقت بك أيتها العجوز !

أنفيسا : يا حبيبتى : لماذا أنت مغضبة ؟
(صوت أندريه) أنفيسا !

أنفيسا : (تقلده فى سخرية) أنفيسا . يجلس فى حجرته و ..... (تخرج) .

ماشا : (فى غرفة الأكل وهى واقفة إلى جوار المائدة ، مغضبة) فلأجلس (تغير ترتيب أوراق اللعب) هيه .. حتى لاتعودا إلى نشر أوراقكما هكذا . تناولا الشاى بدلاً من هذا !

إيرينـا : أنت مغضبة يا ماشا .

ماشا : ما دمت مغضبة فلا تحدثينى . لا تقربينى !

تشيبيوتيكين : لا تقربوها .. لا تلمسوها ...

ماشا أنت فى الستين ، ومع ذلك تتصرف كصبى . دائماً تفكر فى مخافة كريهة أو أخرى .

ناتاشا : (تتنهد) يا عزيزتى ماشا . لماذا تستعملين هذه الألفاظ ؟ بمظهرك الجميل هذا ، تستطيعين أن تكونى فاتنة المجتمعات لولا ألفاظك . أقول لك هذا صراحة ....

Je vous pric, pardonnez-moi, Marie, mais vous avez des manières un peu grossières. (١)

تيوزينباخ : (يكتم ضحكه) أعطنى .. أعطنى .. هناك شىء من الكونياك فيما أعتقد .

ناتاشا : Il paraît, que mon Bobich déjà ne dort pas. (٢)

(١) أرجوك عفواً ، يا مارى ، إن تصرفاتك فظة شيئاً ما .
(٢) يبدو أن « بوفيش » لا زال مستيقظاً .

لقد صحا ، إنه مريض اليوم .. سأذهب إليه . عن إذنكم (تخرج) .

إيرينـــا : أين ذهب الكسندر ايجناتيفيتش ؟

ماشا : إلى بيته . شيء آخر مريع حدث لزوجته :

تيوزينباخ : (يذهب إلى سوليني ومعه زجاجة كونياك) لا زلت تجلس وحيداً . تفكر فى شيء ما — الله أعلم ما هو — تعال نتصالح . لنشرب شيئاً من الكونياك (يشربان) أظن أننى سأضطر إلى العزف على البيانو طول الليل . سأعزف بعض السخافات على الأغلب. حسناً . ليكنْ.

سوليني : لماذا نتصالح ؟ أنا لم أتشاجر معك .

تيوزينباخ : أنت دائماً تحملنى على الظن بأن شيئاً قد حدث بيننا . أنت شخص غريب . ولا داعى للإنكار .

سوليني : (منشداً) : «أنا غريب الأطوار . ولكن من منا عادى؟ لاتغضب منى يا أليكو»[1]

تيوزينباخ : ما دخل أليكو فى المسألة ؟ (صمت)

سوليني : حينما أكون مع فرد واحد فقط تكون تصرفاتى عادية . ولكننى مع الجماعة غبيّ خجول أقول كثيراً من السخافات . غير أننى أكثر شرفاً

---

(١) اليكو : بطل قصيدة الغجر ، لپوشكين .

وأمانة من كثيرٍ . كثير جداً من الناس، ولدىّ الدليل .

تيوزينباخ : كثيراً ما أغضب منك . إنك غالباً ما تلزم صحبتى فى الحفلات ، وهذا يضجرنى . ولكننى مع ذلك أميل إليك . الليلة سأشرب ما وسعنى ، مهما حدث . اشرب ، الآن .

سوليني : لنشرب (يشربان) ما حقــدت عليك قط يا بارون ، ولكن شخصيتى تماثل شخصية ليرمونتوف[1] (فى صوت خفيض) بل يقال إننى أشبه ليرمونتوف إلى حدٍّ ما . (يخرج زجاجة عطر من جيبه ويضمخ يديه)

تيوزينباخ : قدمت استقالتى .. وانتهى الأمر. ظللت أفكر فى الاستقالة خمس سنين ، وأخيراً صمـمْتُ . سأعمل .

سوليني : (ملقيا) : « لا تغضب يا أليكو .. انس .. انس .. أحلامك بالأمس » .

(يدخل أندريه فى هدوء أثناء الكلام وفى يده كتاب ثم يجلس قرب المـــائدة)

تيوزينباخ : سأعمل .

---

(١) ليرمونتوف ، (١٨١٤–١٨٤١) : شاعر روسى كبير . ولد فى موسكو وقتل فى مبارزة ، كان له طبع مندفع حزين ، تعبر عنه أشعاره .

تشيبيوتيكين : (داخلا مع إيرينا إلى غرفة الأكل) وكان الأكل يتضمن حساء بصل قوقازىّ أصيل ، ومن المشويات شيئاً يقال له شيهارتما .

سوليني : شيهارتما ليس نوعاً من اللحوم ، بل نبات يشبه البصل .

تشيبيوتيكين : لا ، يا ملاكى ، شيهارتما ليس بصلا ، إنما هو لحم ضأن محمّر .

سوليني : وأنا أقول لك : إن شيهارتما نوع من البصل .

تشيبيوتيكين : وأنا أقول لك : إن شيهارتما هو لحم الضأن .

سوليني : وأنا أقول لك : إن شيهارتما نوع من البصل .

تشيبيوتيكين : ما فائدة النقاش معك ! أنت لم تذهب إلى القوقاز فى حياتك ، ولم تأكل أبداً أى شيهارتما .

سوليني : لم آكلها لأنى أكرهها . إن لها رائحة الثوم .

أندريه : (فى توسل) من فضلكما ، من فضلكما ! أرجوكما !

تيوزينباخ : متى يأتى الفنانون ؟

إيرينـــا : وعدوا بالحضور حوالى التاسعة . أى أنهم لا بدّ آتون حالاً .

تيوزينباخ : (يعانق أندريه ويقول)

« يا لبيتى .. بيتى ، بيتى الجديد »

أندريه : (يرقص ويغنى)

« مبنى حديثاً من خشب الأسفندان »

تشيبيوتيكين : « حيطانه جميعاً كقاع المصفاة . » (ضحك)

تيوزينباخ : (يقبل أندريه) فلتذهب الحيطة إلى الجحيم . تعال نشرب يا أندريه . أيها الرجل الطيب ، تعال نشرب معاً .. وسأذهب معك ، يا أندريه إلى جامعة موسكو ..

سوليني : أى جامعة منهما ؟ فى موسكو جامعتان .

أندريه : فى موسكو جامعة واحدة .

سوليني : اثنتان . أقول لك .

أندريه : ثلاث إذن . كلما زاد العدد كان أحسن .

سوليني : فى موسكو جامعتان (همهمات وأصوات : هس) فى موسكو جامعتان . الجامعة القديمة والجامعة الجديدة . وإذا لم ترغبوا فى الاستماع إلى ، إذا كانت كلماتى تضايقكم ، فسأسكت . بل أستطيع أن أدخل غرفة أخرى .. (يخرج)

تيوزينباخ : براڤو ، براڤو ! (يضحك) تعالوا الآن .. سأعزف لكم . مضحك سوليني هذا .
(يذهب إلى البيانو ويعزف ڤالس)

ماشا : (ترقص بمفردها) البارون سكران . البارون سكران . البارون سكران !

ناتاشا : (تدخل) (لتشيبيوتيكين) إيفان رومانوفيتش

(تقول شيئاً لتشيبوتيكين ثم تنصرف فى هدوء .
تشيبوتيكين : يلمس كتف تيوزينباخ ويهمس
له بشيء ما)

إيرينـــا : ماذا هناك ؟

تشيبوتيكين : حان وقت الانصراف . سعيدة

تيوزينباخ : ليلتكم سعيدة . آن أن ننصرف .

إيرينـــا : ولكن الفنانين قادمون ؟

أندريه : (فى ارتباك) لن يأتى الفنانون . اسمعى يا حبيبتى . ناتاشا تقول إن بوبيك مريض و .. باختصار ، لا يهمنى هذا فى شىء . المسألة واحدة بالنسبة إلىّ .

إيرينـــا : (تهز كتفيها) بوبيك مريض ؟

ماشا : ما هذا الذى تقوله ناتاشا ! ليكن ، ما دمنا نطرد ضيوفنا فلن يملكوا إلا الخروج (لإيرينا) بوبيك بخير . إنها هى المريضة .. هنا ! (تخبط جبهتها) تلك البورجوازية الصغيرة !
(أندريه يدخل غرفته من باب اليمين . تشيبوتيكين يتبعه . فى غرفة الأكل يسمع الضيوف يحيون مودعين)

فيدوتيك : يا للأسف ! كنت أظن أننى سأقضى الأمسية هنا . ولكن ما دام الصغير مريضاً ... سأحضر له بعض اللعب غداً .

رود : (بصوت عال) نمت طويلا بعد الظهر . لأننى ظننت أننى سأرقص طول الليل . إن الساعة لم تتعد التاسعة .

ماشا : لنخرج إلى الشارع لنستطيع أن نتحدث . ثم نرتب الأمور .

(تسمع تحيات : سعيدة . وليلة سعيدة . وضحكة تيوزينباخ المرحة . الكل يخرجون . أنفيسا والخادم تنظفان المائدة وتطفئان الأنوار . المربية تغنى . يدخل أندريه مرتدياً معطفاً وقبعة ومعه تشيبيوتيكين . يدخلان صامتين)

تشيبيوتيكين : لم أحاول قط أن أتزوج لأن حياتى مرقت أمامى كالبرق ، ولأننى كنت مغرماً إلى حد الجنون بأمك .. وكانت هى قد تزوجت ..

أندريه : يجب ألا يتزوج المرء . يجب ألا يتزوج لأن الزواج ممل .

تشيبيوتيكين : وهكذا ترانى الآن غارقاً فى وحدتى . مهما تقل يا عزيزى فالوحدة شىء مريع .. ولو أنه فى الواقع .. طبعاً .. هذا أمر لا يهم على الإطلاق .

أندريه : لنسرع .

تشيبيوتيكين : لماذا أنت مستعجل هكذا ؟ سنصل فى الميعاد ..

أندريه : أخشى أن تستوقفنى زوجتى .

تشيبيوتيكين : آه !

أندريه : لن ألعب الليلة . سأجلس فقط . وأراقب . أنا مريض قليلا . ماذا أفعل لأتخلص من الربو ، يا إيفان رومانوفيتش ؟

تشيبيوتيكين : لا تسألنى ! أنا لا أذكر أيها العزيز .. لا أعرف .

أندريه : نخرج من المطبخ (يخرجان . يدق الجرس مرة . ومرة أخرى . أصوات وضحك)

إيرينــا : (تدخل) ما هذا ؟

أنفيسا : (تهمس) الفنانون (جرس)

إيرينــا : قولى لهم لا أحد فى البيت يا دادة . إعتذرى لهم. (تخرج أنفيسا . تتمشى إيرينا فى الغرفة فى تفكير عميق . تبدو مهتاجة .. يدخل سوليْنى)

سوليْنى لا أحد هنا . أين ذهب الجميع ؟

إيرينــا : ذهبوا إلى بيوتهم .

سوليْنى : غريبة . وأنت وحيدة ؟

إيرينــا : أجل وحيدة (صمت) ليلتك سعيدة .

سوليْنى : منذ برهة تصرفت بلا لباقة وبغير تحفظ كاف ولكنك لست كالآخرين . أنت نبيلة . نقية ، وتستطيعين أن تتبينى الحقيقة . أنت وحدك تفهمينى . أحبك ، بعمق وبلا حد . أحبك .

إيرينــا : مع السلامة . اذهب .

سولينى : لا أستطيع العيش من غيرك. (يتبعها) آه يا لسعادتى ! (من خلال دموعه) آه ، يا للفرحة ! عينان عجيبتان ، رائعتان ، مجيدتان ، لم أر مثلهما فى حياتى .

إيرينـــا : (فى برود) اسكت يا ڤاسيلى فاسيليفتش !

سولينى : هذه أول مرة أحدثك فيها عن الحب و إنى لأشعر أننى لم أعد أمشى على الأرض ، بل أنا الآن فى كوكب آخر (يمسح جبهته) لا يهم . لا أستطيع طبعاً أن أجعلك تحبيننى بالقوة . ولكننى لن أصبر على وجود غريم لى يحظى بالعطف من دونى . أقسم لك بكل القديسين أننى سأقتل غريمى . آه أيتها الجميلة !

(تدخل ناتاشا ومعها شمعة . تدخل من خلال أحد الأبواب ، ثم من خلال باب آخر ، ثم تمر بالباب المؤدى إلى غرفة زوجها)

ناتاشا : هذا هو أندريه ، فلنتركه يقرأ . معذرة يا ڤاسيلى فاسيليفتش . لم أكن أعرف أنك هنا . أنا مشغولة ببعض الشئون المنزلية .

سولينى : الأمر سواء بالنسبة لى . سعيدة ! (يخرج)

ناتاشا : أنت متعبة جداً يا فتاتى المسكينة (تقبل إيرينا) آه لو كنت تنامين مبكرة عن هذا .

إيرينــا : هل نام بوبيك ؟

ناتاشا : نعم ولكنه غير مستريح . وبالمناسبة أردت منذ مدة أن أقول لك شيئاً فلم أستطع .. تارة كنت أنت بالخارج ، وتارة أخرى كنت أنا مشغولة .. أظن أن حجرة بوبيك الحالية باردة ورطبة وحجرتك أنت تلائمه كثيراً أرجوك أيتها العزيزة ، أيتها الحبيبة ، أن تنامى مع أولجا بعضاً من الوقت !

إيرينــا : (لا تفهم) أين ؟

(يسمع جرس عربة ترويكا . وتقف العربة بباب البيت)

ناتاشا : تستطيعين أن تنامى مع أولجا ، فى الوقت الحالى ، وينام بوبيك فى حجرتك . إنه طفل حبيب . اليوم قلت له : « بوبيك ، أنت طفلى ! ملكى ! » فنظر إلىّ بعينيه الصغيرتين الحبيبتين . (صوت جرس) لا بد أن هذه أولجا . كم تأخرت ! (تدخل الخادمة وتسر شيئاً لناتاشا) بروتوبوبوف . يا له من رجل غريب الأطوار إذ يفعل شيئاً كهذا . جاء بروتوبوبوف يطلب أن أذهب معه فى نزهة فى الترويكا (تضحك) يا له من مضحك هذا

الطراز من الرجال ... (صوت جرس) أحد بالباب . ماذا لو ذهبت معه للنزهة نصف ساعة .. (للخادمة) .. قولى له إننى لن أتأخر (صوت جرس) لابد أنها أولجا. تضرب الجرس . (تجرى الخادمة خارجة . تجلس إيرينا مستغرقة فى تفكير عميق . يدخل كوليجين وأولجا يتبعهما فيرشينين) .

كوليجين : أرأيت ؟ ومع هذا قلت إن حفلة ستقام .

فيرشينين : غريب . تركت هذا المكان من مدة غير طويلة . منذ نصف ساعة . وكان الكل ينتظرون قدوم الفنانين .

إيرينا : خرج الضيوف كلهم .

كوليجين : وهل خرجت ماشا أيضاً ؟ أين ذهبت ؟ وماذا ينتظر بروتوبوبوف فى عربته ؟ ينتظر من ؟

إيرينا : لا تزعجنى . أنا متعبة .

كوليجين : أوه ، لقد استبدت بك الأهواء .

أولجا : انتهى اجتماع لجنتنا منذ قليل وأنا مستهلكة . لقد مرضت رئيسة اللجنة فحللت محلها . يا لرأسى . إنه مصدع . (تجلس) . خسر أندريه مائتى روبل فى لعب الورق أمس .. البلدة كلها تتحدث فى هذا .

كوليجين : نعم . الاجتماع الذى حضرته استهلكنى أنا أيضاً (يجلس) .

فيرشينين : قامت فى رأس زوجتى نزوة حفزتها إلى تخويفى بمحاولة الانتحار بالسم . لقد انتهت الأزمة ، وأنا سعيد . أستطيع الآن أن أستريح . ولكن ربما كان من الأفضل أن نخرج . لكم تحياتى . فيودور إيليتش . هيا نذهب معاً ! لا أستطيع . لاأستطيع مطلقاً أن أبقى بالبيت . هيا !

كوليجين : أنا متعب . لا أريد الذهاب (يهتف) أنا متعب . هل ذهبت زوجتى إلى البيت ؟

إيرينـــا : أظن هذا .

كوليجين : (يقبل يد إيرينا) طابت ليلتك . سأستريح طيلة الغد واليوم الذى يليه . أطيب أمنياتى . (ذاهبا) وددت لو شربت شيئاً من الشاى . كنت أتطلع إلى قضاء أمسية كاملة فى ضيافة مرحة و ... O, fallacem hominum spem! فيا لزيف آمال البشر . أسماء الجملة كلها فى حالة المفعول به لورودها فى صيغة التعجب .

فيرشينين : إذن سأذهب إلى مكان ما بمفردى (يخرج ومعه كوليجين وهو يصفر)

أولجـــــا : يا لصداع رأسى . أندريه يخسر باستمرار فى

المدة الأخيرة . البلدة كلها تتحدث . سأذهب وأستريح (ذاهبة) غداً عطلة . أوه يا إلهى يا لها من نعمة ! غداً عطلة وبعد غد أيضاً . أوه . يا لرأسى يا لرأسى ! (تخرج)

إيرينـا : (وحيدة) ذهبوا جميعاً ، لم يعد هنا أحد . (يسمع عزف على الأكورديون فى الشارع . المربية تغنى)

ناتاشا : (فى معطف ذى فراء وغطاء رأس ، تعبر غرفة الأكل تتبعها الخادمة) سأعود بعد نصف ساعة . إننى ذاهبة فى نزهة قصيرة (تخرج)

إيرينـا : (وحيدة مع شقائها) إلى موسكو ! موسكو ! موسكو !

– ستـار –

الفصل الثالث

(الغرفة المشتركة بين أولجا وإيرينا . سريران وراء ستارتين إلى اليمين والشمال . الساعة تجاوزت الثانية صباحاً . تسمع صفارة الحريق. يبدو أنها قد ظلت منطلقة مدة طويلة . لم يذهب أحد بعد إلى فراشه . ماشا نائمة على أريكة ، مرتدية ، كعادتها ، الملابس السوداء . تدخل أولجا وأنفيسا)

أنفيســا : إنهم فى الدور السفلى . جالسون تحت السلالم . قلت لهم : « ألا تصعدون ؟ لا يمكن أن تظلوا هكذا » . فلم يملكوا إلا البكاء وقالوا لا نعرف أين أبونا ، لعله الآن قد احترق . يالها من خاطرة ! وفى الفناء أناس آخرون عريانون أيضاً .

أولجــــا : (تخرج رداءً من الصوان) خذى هذا الرداء الرمادى . وهذا ، وهذه البلوزة أيضاً : القميص كذلك ، يا دادة ... يا إلهى ! يا له من أمر مريع ! الظاهر أن طريق كيرسانوفسكى

كله قد احترق . خذى هذا . وهذا . (تلقى إليها ببعض الملابس) إن آل فيرشينين فزعون جدا . فقد احترق بيتهم كله تقريباً . ينبغى أن يقضوا الليلة هنا .. يجب ألا ندعهم يذهبون إلى منزلهم . إن فيدوتيك المسكين احترق بيته تماماً . لم يبق منه شىء .

أنفيسـا : هلاّ دعوت فيرابونت ، يا عزيزتى أولجا . أنا لا أستطيع بمفردى أن أقوم ...

أولجـا : (تدق الجرس) لن يردوا مطلقاً (تقول عند الباب) ادخلوا . كل من بالخارج يدخل ! (من الباب المفتوح ترى نافذة تتوهج احمراراً من اللهب . يسمع صوت سيارة الحريق وهى تمر بالبيت) يا له من أمر مريع . لشدّ ما أنا ضيقة به ! (يدخل فيرابونت) خذ هـذه الأشياء إلى الدور السفلى . إن بنات آل كولوتيلين هناك . أعطهن هذه الملابس . وهذا الرداء أيضاً .

فيرابونت : حاضر يا سيدتى . فى عام ١٨١٢ كانت موسكو أيضاً تحترق . يا إلهى لقد أخذ الفرنسيون على غرة .

أولجـا : اذهب . اذهب .

فيرابونت : حاضر .. يا سيدتى (يخرج)

أولجـــا : يا دادة العزيزة أعطهم كل شيء . نحن لانحتاج شيئاً . أعطهم كل شيء يا دادة . أنا متعبة حتى لا تكاد رجلاى تقيمانى . لا تدعى آل فيرشينين يذهبون .. البنات يستطعن النوم فى غرفة الاستقبال . أما الكسندر إجناتيفيتش فيمكنه المبيت فى شقة البارون، وفيدوتيك أيضاً يستطيع أن يبيت هناك أو فى غرفة الأكل ... إن الطبيب سكران الليلة ، سكران بشكل فظيع ، كأنما فعلها عمداً ، ولا أحد يستطيع أن يدنو منه . اعرضى على زوجة فيرشينين أن تبيت فى غرفة الجلوس .

أنفيســا : (متعبة) أولجا . يا بنتى العزيزة ، لا تطردينى لا تطردينى !

أولجـــا : كلامك لامعنى له يا دادة . من ذا الذى يريد طردك ؟

أنفيســا : (تضع رأس أولجا على صدرها ..) يا فتاتى العزيزة ، يا كنزى ! أنا أعمل وأكافح وتتقدم بى السن . إننى أضعف فى كل يوم ، ولن يلبثوا أن يقولوا لى : اخرجى ! وإلى أين أخرج ؟

أين ، أين ؟ إننى فى الثمانين . بل فى الواحد والثمانين .

أولجـــا : اجلسى يا دادة العزيزة . أنت متعبة يا مسكينة (تحملها على الجلوس) استريحى استريحى . أنت شاحبة جداً !

(تدخل ناتاشا)

ناتاشا : يقول الناس لا بد من تكوين لجنة على الفور لمساعدة ضحايا الحريق . ما رأيك فى هذه الفكرة ؟ إنها فكرة بديعة . بالطبع يجب مساعدة الفقراء . هذا واجب الأغنياء . إن بوبى والصغيرة صوفى نائمان .. نائمان ، كأن شيئاً لم يحدث . بالبيت كثير من الناس ، حتى لقد امتلأ بهم المكان . تجدينهم أينما ذهبت . البلدة مصابة بالأنفلونزا الآن ، وأخشى أن تصيب الأولاد .

أولجـــا : (غير مصغية إليها) من هذه الغرفة لا نستطيع أن نرى الحريق . إننا فى هدوء هنا . .

ناتاشا ، أجل . أعتقد أننى سيئة المظهر . (أمام المرآة) . يقولون إننى فى طريقى إلى السمنة ، وهذا غير صحيح . غير صحيح قطعاً . ماشا نائمة . المسكينة مجهدة تماماً (فى برود ، موجهة كلامها لأنفيسا) لا تجسرى على الجلوس فى

حضرتى ! قومى اخرجى .. (تخرج أنفيسا . صمت) لا أفهم ما الذى يدعوك إلى الإبقاء على هذه العجوز !

أولجـــا : (فى ارتباك) معذرة .. ولا أنا أفهم .

ناتاشا : لا فائدة منها هنا . إنها من الريف ، ويجب أن تعيش هناك ... أنتم تفسدونها ! أنا أحب النظام فى البيت ! لا نريد هنا أناساً لا نحتاجهم (تربت على خدها) أنت متعبة يا مسكينة . إن ناظرتنا متعبة ، وحينما تكبر الصغيرة صوفى وتذهب إلى المدرسة سأخشى عليها منك كثيراً .

أولجـــا : لن أصبح ناظرة .

ناتاشا : سيعينونك ناظرة يا أولجا . تقرر ذلك .

أولجـــا : سأرفض المنصب . لا أستطيع احتماله . لست أقوى عليه (تشرب ماء) لقد عاملت دادة بفظاظة كبيرة منذ قليل . أنا آسفة . لا أستطيع تحمل كل هذا . كل شىء قاتم فى عينى .

ناتاشا : (فى اضطراب) سامحينى ، يا أولجا ، سامحينى . لم أقصد مضايقتك .

(تصحو ماشا وتأخذ معها وسادة وتخرج مغضبة)

أولجـــا : اذكرى هذا يا عزيزتى : ربما نكون قد ربينا بطريقة غير مألوفة ، ولكننى لا أستطيع تحمل

هذا . مثل هذا السلوك ضارٌ بى . إنه يمرضنى .
أفقد معه شجاعتى .

ناتاشا : سامحينى . سامحينى « تقبلها »

أوجـــا : إن أقل بادرة فظاظة ، أهون مظهر لقلة الأدب يثير نفسى .

ناتاشا : غالباً ما أكثر من الكلام . هذا صحيح . ولكن ألا تظنين أنه من الأنسب لها أن تعيش فى الريف فعلا ؟

أوجـــا : إنها معنا منذ ثلاثين سنة .

ناتاشا : ولكنها لا تستطيع العمل الآن . إما أننى لا أفهم ، أو أنك لا تودين أن تفهمينى . إنها لا تصلح للعمل . كل ما تستطيعه هو أن تنام أو تجلس .

أوجـــا : فلتجلس ما شاءت .

ناتاشا : (مندهشة) ماذا تعنين ؟ إنها مجرد خادمة . (تبكى) أنا لاأفهمك ، يا أوجا . عندى دادة ومرضعة ، وطباخ ، وخادم .. ففيم نحتاج هذه المرأة بعد هذا ؟ ما فائدتها ؟

(يسمع صوت صفارة الحريق خلف المسرح)

أوجـــا : كبرت عشر سنوات هذه الليلة .

ناتاشا : يجب أن نتفق على نظام ما يا أوجا . مكانك فى المدرسة ، ومكانى فى البيت . خصصى

نفسك للتدريس ودعى شئون البيت لى . إنى حينما أتحدث عن الخدم فإنما أعلم ما أقول ، أعرف ما أقول تماماً .. غداً ننتهى من هذه اللصة العجوز ، هذه الكركوبة .. (تدق الأرض بقدمها) هذه الساحرة الشريرة ! وإياك أن تجسرى على مضايقتى ! إياك ! (تصمت فجأة) إذا لم تنتقلى إلى الطابق السفلى فسنتشاجر دائماً . حاجة تفلق !

(يدخل كوليجين) .

كوليجين : أين ماشا ؟ آن أن ننصرف . يبدو أن النار بدأت تخمد (يتمطى) عمارة واحدة فقط احترقت ، ولكن الريح كانت شديدة ، حتى خفنا أن تحترق البلدة كلها . (يجلس) أنا مجهد . عزيزتى أولجا : كثيراً ما قلت لنفسى : لو أننى لم ألق ماشا لتزوجتك أنت . أنت لطيفة جداً . لقد استبد بى التعب (يتسمع)

أولجـــــا : ماذا ؟

كوليجين : الطبيب طبعاً . لقد شرب كثيراً الليلة . بشكل مريع . يبدو أنه فعلها عمداً ! (ينهض) الظاهر أنه قادم هنا . هل تسمعينه ؟ أجل إلى هنا .. (يضحك) يا له من رجل !.. اسمعوا :

سأختبئ (يذهب إلى الصوان ويقف فى الركن)
يا له من وغد !

أوجـــــا : إنه لم يتناول قطرة واحدة من الشراب منذ عامين وفجأة يذهب فيسكر .

(تتجه مع ناتاشا إلى خلف الحجرة . يدخل تشيبيوتيكين . إنه فى الظاهر غير ثمل . يقف وينظر حواليه ثم يذهب إلى حوض الغسيل ويأخذ يغسل يديه)

تشيبيوتيكين : (فى غضب) ليذهبوا جميعاً إلى الشيطان .. جميعاً . يظنون أننى طبيب ، وأننى أستطيع علاج الأمراض كلها . وأنا لا أعرف شيئاً على الإطلاق . نسيت كل ما تعلمت . لا أذكر شيئاً بالمرة ، (تخرج أوجا وناتاشا دون أن يلحظ) اللعنة على المسألة كلها . يوم الأربعاء الماضى ذهبت أعود امرأة فى زاسيب فلم تلبث أن ماتت ، وكان الخطأ خطئى . أجل ، منذ خمس وعشرين سنة كنت أملك قدراً من العلم ، ولكنى لا أذكر شيئاً منه الآن . لا شيء . لعلنى لست إنساناً على الإطلاق ، وإنما أتظاهر بأن لى ذراعين وساقين ورأساً . لعلنى لست موجوداً أصلا ، وإنما أتوهم أننى أمشى

وآكل وأنام . (يبكى) آه ، لو أنه لم يكن لى وجود ..! (يكف عن البكاء ويقول فى غضب) من يدري .. أول من أمس كانوا يتحدثون فى النادى ... ذكروا اسمىّ شكسبير وفولتير . لم أقرأ شيئاً لهما ومع هذا تظاهرت بأننى قرأت. وكذلك فعل الباقون . يا للانحطاط . يا للصغار . ثم ذكرت المرأة التى قتلتها يوم الأربعاء ... ولم أستطع أن أبعدها عن ذهنى ، وتحول كل شيء فى عقلى حتى أصبح ملتوياً ، قبيحاً ، تعساً ... وهكذا ذهبت وسكرت ..

(تدخل إيرينا وفيرشينين وتيوزينباخ . الأخير يلبس ملابس مدنية جديدة ، ومن آخر طراز) .

إيرينـــا : لنجلس هنا . لن يأتى إلى هنا أحد .

تشيبيوتيكين : أوشكت البلدة كلها أن تدمر لولا جنود الجيش. رجال أكفاء . (يفرك يديه فى تقدير) أناس رائعون ! أوه ، يا لهم من جماعة رائعة !

كوليجين : (يقترب منه) كم الساعة ؟

تيوزينباخ : بعد الثالثة الآن . الفجر يطلع .

إيرينـــا : إنهم جميعاً فى غرفة الأكل . لن يذهب منهم أحد . وصديقك سولينى بينهم ..

(لتشيبيوتيكين) أما كان الأفضل لك أن تنام ، يا دكتور ؟

تشيبيوتيكين : نعم .. شكراً لك (يمشط لحيته)

كوليجين : (يضحك) الكلام صعب عليك شيئاً ما ، يا إيفان رومانوفيتش . هيه ؟ (يربت على كتفيه) رجل طيب . In vino veritas في الخمر الحقيقة ، كما يقول الأقدمون .

تيوزينباخ : إنهم يلحّون عليّ في أن أقيم حفلة موسيقية مساعدة للضحايا .

إيرينــا : كأن باستطاعة الواحد أن يفعل شيئاً .

تيوزينباخ : من الممكن تدبيرها ، لو كان هذا ضرورياً . في رأيي أن ماريا سيرجيفينا عازفة بيانو ممتازة .

كوليجين : أجل ممتازة !

إيرينــا : لقد نسيت العزف تماماً . لم تعزف من ثلاث سنين أو أربع .

تيوزينباخ : في هذه البلدة لا أحد يفهم الموسيقى — ما من فرد واحد . ولكنني أنا أفهمها وأنا أؤكد لك بشرفي أن ماريا سيرجيفينا عزفها ممتاز ، وأنه يقرب أن يكون عبقريا .

كوليجين : أنت على صواب يا بارون . أنا مفتون بماشا . إنها بالغة الروعة .

تيوزينباخ : ما أمر أن يعزف المرء بكل هذه المهارة ، ثم يتبين فى الوقت نفسه أن أحداً لا يفهمه !

كوليجين : (يتنهد) أجل .. ولكن ، هل من اللائق لها أن تساهم فى الحفلة ؟ (صمت) أنا لا أفهم فى هذه المسائل ، ولعله أن يكون فى اشتراكها الخير . ومع أن مديرنا رجل طيب العنصر ، طيب العنصر جدا ، وكفوء جداً ، إلا أن له آراء معينة .. بالطبع هذا شأنه ، ولكن إذا أردت لماشا أن تشترك فى الحفلة ، فأولى بى أن أكلمه فى الموضوع .

(تشيبيوتيكين يتناول ساعة من الصينى ويفحصها).

فيرشينين : قد نالنى من أوساخ الحريق ما جعلنى أبدو فى غير مظهر الأحياء (صمت) بالأمس سمعت عرَضاً أن لواءنا يراد له أن ينقل إلى مكان بعيد . قال البعض : بولندا ، وقال آخرون : تشيتا .

تيوزينباخ : هذا ما سمعته أنا أيضاً . إذا صح هذا فستصبح البلدة خلاء .

إيرينـــا : وسنرحل نحن أيضاً !

تشيبيوتيكين : (تسقط منه الساعة وتتناثر قطعاً) قطعاً . قطعاً .

(صمت . الكل متألم ومضطرب) .

كوليجين : (بجمع القطع) كيف طاوعك قلبك على أن تحطم هذه القطعة الثمينة أوه، إيفان رومانوفيتش ، إيفان رومانوفيتش ، صفر فى السلوك !

إيرينـــا : هذه الساعة كانت لأمنا .

تشيبيوتيكين: ربما . ساعة أمك .. ساعة أمك .. ربما لم أكسرها، ربما بدا فقط كأننى كسرتها . ربما نظن أننا موجودون ، فى حين أن الواقع أنه لاوجود لنا . لاأدرى شيئاً ، ولا أحد يدرى. (بالباب) أى شيء تنظرون ! ناتاشا تمثل قصة غرام صغير مع بروتوبوبوف وأنتم لا تدرون ... تجلسون هنا ولا ترون شيئاً ، فى حين أن ناتاشا تمثل قصة غرام صغيرة مع برووبوبوف ... (يغنى) « ألا تقبلين منى هذا البلح » (يخرج) .

فيرشينين : أجل . (يضحك) ما أغرب الأشياء جميعاً ! (صمت) حينما اندلع الحريق ، هرولت إلى المنزل ، فلما وصلت إليه وجدته سليما لم يمس . ولا يتهدده أى خطر ولكن بنتىّ كانتا واقفتين بالبـــاب لا يسترهما إلا الملابس الداخليـــة فقط . لم تكن أمهما موجودة وكان الجمهور

مضطرباً ، والخيول والكلاب تجرى هنا وهناك ، ووجها الفتاتين تتنازعهما عوامل الإثارة والفزع والتوسل ، وما لا أدرى من عواطف أخرى . حز الألم فى قلبى حينما شاهدت هذين الوجهين. يا إلهى ، لقد جعلت أفكر فيما ستحمله الفتاتان من آلام لو قدر لهما أن تعيشا طويلا ! أمسكت بهما وجريت ، وظل خاطر واحد يحتل رأسى : آلام الحياة التى ستواجه الفتاتين لو قدر لهما أن تعيشا ! (صفارة الحريق . صمت) وجئت إلى هنـــا فوجدت أمهما غاضبة (تدخل ماشا ومعها وسادة وتجلس على الأريكة) وحينما كانت بنتاى واقفتين بالباب بملابسهما الداخلية فقط ، وكان الشارع يتوهج بالنيران ، كانت ثمة ضوضاء رهيبة ، فقلت لنفسى ما أشبه هذا بما كان يحدث قديماً حينما كان العـــدو يغير فجأة على البلاد فينهب ويحرق . ولكن ما أبعد الفرق بين الحاضر والماضى ! وحينما يتقدم بنا الزمن شيئاً ما ، فى مائتين أو ثلثمائة عام ربما ، سينظر الناس إلى حياتنا الحاضرة بهذا الخوف نفسه ، وهذا الاحتقار عينه ، وسيبدو لهم الماضى كله ثقيل الوضع غبياً ، غريباً ،

أبعد ما يكون عن توفير الراحة للناس . حقا ، ما أروع ما سيكون لنا من حياة ، ما أروعها ! (يضحك) اعذرونى ، فقد عدت إلى حديث الفلسفة . دعونى أواصل الحديث من فضلكم فإن بى شوقاً إلى أن أتفلسف . هذا ما أحس به فى التو واللحظة . (صمت كأنما الكل نيام) . كنت أقول : يا لروعة ما سوف يكون لنا من حياة ! ما عليكن إلا أن تتخيلن .. فى البلدة الآن ثلاثاً مثلكن . ولكن الأجيال القادمة ستشهد مزيداً بعد مزيد ، وسيأتى وقت يتغير فيه كل شيء ويصبح الناس فيه على خير ما تردْن .. يعيشون كما تعشن ، ثم يتعداكن التطور أنتن أيضاً ، ويولد أناس هم أفضل منكن .. (يضحك) أجل اليوم أنا مهيأ بصفة خاصة لهذا التفاؤل .. إننى أحب الحياة حبًّا وحشيًّا .

(يغنى) « قوة الحب تعرفها كل الأجيال .
من قبضتها يخرج كل طيب وعظيم »
(يضحك) .

ماشا : تم تم تم .

فيرشينين : تم تم

ماشا : ترا .. رارا

فيرشينين : ترا تاتا . (يضحك)

(يدخل فيدوتيك) .

فيدوتيك : (راقصاً) احترق ما أملك . احترق ما أملك . أصبحت على الأرض .. (ضحك) .

إيرينا : لا أرى ما يضحك فى هذا . هل احترق كل شىء ؟

فيدوتيك : (يضحك) تماماً . لم يبق شىء مطلقاً . احترق الجيتار والصور كلها وجميع رسائلى .. وكنت اشتريت لك هدية : دفتر مذكرات .. وهذا أيضاً احترق . (يدخل سولينى) .

إيرينا : لا تدخل يا فاسيلى فاسيليفيتش . اذهب من فضلك .

سولينى : كيف يسمح للبارون بالدخول ، ولا يسمح لى أنا ؟

فيرشينين : أظن أن الوقت حان للانصراف . ما أخبار الحريق ؟

سولينى : يقولون : إنه بدأ يخمد . لا . أنا لا أرى لماذا يسمح للبارون ولا يسمح لى . (يضمخ يديه بالعطر).

فيرشينين : ترم تم تم .

ماشا : ترم .. تم .

فيرشينين : (يضحك . لسوليني) لنذهب إلى غرفة الأكل .

سوليني : حسن جداً . سآخذ مذكرة . « لو حاولت أن أوضح الأمر لغضبت منى الإوز على الفور[1]. (ينظر لتيوزينباخ) هكذا . هكذا هكذا .

(يخرج مع فيرشينين وفيدوتيك)

إيرينـــا : شدّ ما فاحت رائحة الطباق من سوليني .. (في دهشة) البارون نام . يا بارون ! يا بارون !

تيوزينباخ : (يصحو) أنا متعب حقا . معامل الطوب .. لا .. أنا لا أهرف . أعني ما أقول . سأبدأ العمل قريباً في معامل الطوب . لقد تحدثت بشأنها فعلا . (برفق لإيرينا) أنت شاحبة وجميلة وساحرة .. شحوبك يتألق خلال الظلام كأنه النور .. أنت حزينة ، ساخطة على الحياة . أوه .. تعالى معى ولنعمل معاً !

ماشا : نيكولاى لفوفيتش ، اذهب من هنا .

تيوزينباخ : (يضحك) أنت هنا ؟ لم أرك . (يقبل يد إيرينا) مع السلامة ، إنى ذاهب ، أنظر إليك الآن ، وأذكر ، كما لو كان ماضياً

(١) يشير إلى حدوتة : « الإوز » للكاتب كريلوف .

بعيداً ، يوم عيدك حينما جعلت تتحدثين في ترحيب ومرح عن مباهج العمل .. كم كانت الحياة سعيدة في نظري إذ ذاك ! ماذا جرى لها الآن (يقبل يدها) . ثمة دموع في عينيك . اذهبي إلى فراشك الآن ! إن النهار قد طلع . والصبح قد جاء ... لو كان في مكنتي أن أبذل حياتي فداء لك !

ماشا : نيكولاي لفوفيتش . اذهب ! ما شأنك !..

تيوزينباخ : إنني ذاهب (يخرج) .

ماشا : (ترقد) أنت نائم يا فيودور ؟

كوليجين : هيه ؟

ماشا : أليس ينبغي أن تعود إلى البيت ؟

كوليجين : يا عزيزتي ماشا ، يا حبيبتي ماشا .

إيرينا : إنها متعبة تماماً . فدعها تسترح يا فيديا .

كوليجين : سأذهب فوراً . زوجتي طيبة رائعة . أحبك يا وحيدتي .

ماشا : (في غضب) amo, amas, amat, amamus, amatis, amant (١)

كوليجين : (يضحك) لا . إنها رائعة حقاً . لقد تزوجتك من سبع سنوات ، ولكن يبدو لي أنني تزوجتك

---

(١) تصريف فعل « أحب » في اللاتينية .

بالأمس فقط . بشرفى ، أنت امرأة عجيبة حقا . أنا راض بك . راض . راض !

ماشا : وأنا ضجرة . ضجرة . ضجرة . (تستوى جالسة) ولكنى لا أستطيع أن أتخلص مما أفكر فيه . إنه شيء مخجل يثير فى نفسى القلق ، ولا أستطيع السكوت عليه ، أعنى ما فعله أندريه .. لقد رهن هذا البيت فى البنك ، وأعطى المال لزوجته . ولكن المنزل لنا نحن الأربعة وليس له هو فقط ! كان أجدر به أن يتبين هذا لو أنه رجل شريف حقاً .

كوليجين : وما الفائدة ، يا ماشا ؟ إنه مدين لدى كل الجهات . دعيه يفعل ما يحلو له .

ماشا : هو تصرف مخجل على كل حال (ترقد)

كوليجين : لا أنا فقير ولا أنت . أنا أعمل فى المدرسة وأعطى دروساً خصوصية . إنى شخص بسيط شريف . أحمل معى كل ما لدى كما يقولون Omnia mea mecum porto.

ماشا : لاأريد شيئاً . ولكن الظلم يثير تقززى (صمت) اذهب أنت يا فيودور .

كوليجين : (يقبلها) أنت متعبة . استريحى نصف ساعة ، وسأجلس بانتظارك . نامى .. (ذاهباً) أنا راض . راض . راض . (يخرج) .

إيرينـــا : نعم . صحيح . إن أندريه قد غدا قميئاً . شدّ ما أطفأت نوره وأهرمته هذه المرأة . كانت أمنيته أن يصبح أستاذاً . وأمس جعل يفخر بأنه أخيراً قد عين عضواً فى مجلس الحى . هو عضو ، وبروتوبوبوف رئيس . البلدة كلها تتحدث فى هذا الموضوع وتضحك ، وهو وحده لا يرى شيئاً ... والآن ذهب الجميع ليشهدوا الحريق . وهو وحده لزم غرفته ولم يأبه لشيء . كل ما يفعله أن يعزف على القيثارة (بعصبية) أوه . إنه فظيع . فظيع . فظيع . (تبكى) لم أعد أستطيع ، لم أعد أستطيع أن أتحمل أكثر من هذا . لاأستطيع .. لاأستطيع . (تدخل أولجا وترتب الأشياء على مائدتها الصغيرة . إيرينا تشهق فى صوت مسموع) اطردونى . اطردونى ، فلم أعد أستطيع الاحتمال.

أولجـــا : (فزعة) ماذا جرى ؟ ماذا جرى يا عزيزتى ؟ !

إيرينـــا : (تشهق بالبكاء) أين ؟ أين ذهبت الأشياء ؟ أين ما كان لنا ؟ أوه ، يا إلهى ، يا إلهى ! نسيت كل شيء .. كل شيء .. لست أذكر كلمة شباك بالإيطالية أو حتى كلمة سقف ... أصبحت أنسى كل شيء ، كل يوم أنسى ،

والعمر يمر ولن يعود ، ولن نذهب أبداً إلى موسكو . أتبين الآن أننى لن أذهب .

أولجـــا : هدئى روعك يا عزيزتى ... هدئى روعك .

إيرينـــا : (تضبط نفسها) أوه إنى تعسة .. لا أستطيع العمل ، ولن أعمل . كفى ، كفى ! كنت عاملة تلغـراف ، والآن أعمل فى مكاتب المجلس ، وليس فى قلبى سوى المقت والاحتقار لما يعطوننى من عمل هناك . وأنا الآن فى الثالثة والعشرين ، وقد مر بى وقت طويل وأنا أعمل .. وها هو ذا عقلى قد تبلد ، ونحل جسمى وأصبحت أقل جمالا وأكبر سنا . وليس لأزمتى من انفراج ، والوقت يمر فكأننى أنحسر من الحياة الجميلة الواقعة ، وأتراجع رويداً رويداً منحدرة عبر هوة سحيقة . إننى يائسة ولست أدرى كيف لا زلت أحيا ، وكيف لم أنتحر حتى الآن .

أولجـــا : لا تبكى يا فتاتى العزيزة ، لا تبكى . أنا أيضاً أتعذب .

إيرينـــا : أنا لا أبكى . لا أبكى . كفى انظرى . لم أعد أبكى . كفى . كفى .

أولجـــا : عزيزتى . إنى لأنصح لك كشقيقة وصديقة .

تزوجي البارون (إيرينا تبكى فى خفوت)
أنت تحترمينه ، وتقدرينه كل التقدير ...
صحيح إنه ليس وسيما ، ولكنه شريف
ونظيف . الناس لا يتزوجون بدافع الحب ،
ولكن أداء لواجبهم . هذا اعتقادى على كل
حال . وأنا على استعداد لأن أتزوج دون حب .
مهما يكن من يتقدم لى فسأتزوجه ، ما دام
مهذباً . حتى ولو كان عجوزاً .

إيرينـــا : ظللت أنتظر حتى نستقر فى موسكو ، وأملت
أن أجد هناك حبيبى المخلص . طالما فكرت
فيه وأحببته .. ولكن الأمر كله أصبح هراء ..
هراء كله .

أولجـــا : (تعانق أختها) يا أختى العزيزة . الجميلة .
أنا أفهم كل شىء . حينما ترك بارون نيكولاى
لفوفيتش الجيش وجاءنا فى رداء السهرة[1]
كان منظره قبيحاً حتى لقد أخذت أبكى .
سألنى : لم تبكين ؟ » فكيف كنت أستطيع
أن أجيب ! ولكن إذا كان الله قد ساقه
ليتزوجك فهذا يسعدنى . هذا شىء آخر .
يختلف تماماً .

(١) الرداء المناسب عند التقدم لخطبة فتاة .

(تجتاز ناتاشا المسرح من اليمين إلى الشمال ومعها شمعة دون أن تقول شيئاً) .

ماشا : (تستوى جالسة) إنها تسير كمن أضرم النار فى شىء .

أولجـــا : ماشا . أنت حمقاء . أنت أحمق من فى الأسرة . أعذرينى لقولى هذا . (صمت)

ماشا : أريد أن أعترف لكما بشىء ياشقيقتىّ العزيزتين . إن روحى تتعذب .. سأعترف لكما . ولن أعترف بعد لأحد غيركما . سأقول لكما حالا . (فى خفوت) إنه سرّى الخاص ، ولكن يجب أن تعرفا كل شىء . لا أستطيع الصمت (صمت) أحب . أحب .. أحب ذلك الرجل . قد رأيتماه منذ لحظات . لم لا أقولها صريحة .. باختصار . أحب فيرشينين .

أولجـــا : (تختفى وراء ستارتها) اسكتى .. أنا لا أسمعك على أية حال .

ماشا : ماذا فى وسعى أن أفعل (تأخذ رأسها بين يديها) فى البداية بدا لى غريب الأطوار ، ثم أخذت أرثى له ، ثم وقعت فى غرامه . أحببت صوته وكلماته ، ومصائبه وبنتيه .

أولجـــا : (خلف الستارة) أنا غير منصتة . تكلمى

ما شئت من هراء ، فسيستوى كل شيء لدى ؛
فلن أسمع .

ماشا : آه يا أولجا . أنت حمقاء . إننى أحب ، ومعنى
هذا أن الحب قد أصبح مصيرى ، معناه أنه
أصبح ... قسمتى . وهو يحبنى . يا له من
أمر فظيع . أجل إن الأمر كله لا يليق . أليس
كذلك ؟ (تأخذ يد إيرينا وتقربها منها) آه ،
يا عزيزتى . كيف يتسنى لنا أن نعيش ما بقى
من العمر ، وماذا يكون من أمرنا ... حينما
يقرأ المرء رواية ، تبدو له الأشياء مألوفة سهلة ،
ولكنه عندما يعانى الهوى بالفعل يتبين أن أحداً
لا يستطيع أن يدله ، وأن عليه أن يواجه الأمور
بنفسه . يا عزيزتىَّ ، يا شقيقتىَّ . قد اعترفت
لكما . والآن أستطيع أن أصمت ، كأولئك
المجانين فى قصة جوجول : سألتزم الصمت ..
الصمت .

(يدخل أندريه ، يتبعه فيرابونت) .

أندريه : (مغضباً) ماذا تريد ؟ لا أفهم .

فيرابونت : (بالباب ، فى نفاد صبر) قلت لك ما أريد
عشر مرات حتى الآن يا أندريه سيرجيفيتش .

أندريه : أولا . أنا لست أندريه سير جيفيتش. أنا السيد .

فيرابونت : رجال المطافئ أيها السيد يطلبون الإذن باختراق حديقتك ليصلوا إلى النهر بدلا من الدوران فى كل مرة ، إنه أمر يضايق .

أندريه : وهو كذلك . قل لهم إننى أسمح (يخرج فيرابونت) لقد أضجرونى . أين أولجا ؟ (أولجا تخرج من وراء الستار) جئت أطلب مفتاح الصوان . لقد فقدت مفتاحى . لديك مفتاح صغير .. (تعطيه المفتاح . إيرينا تختفى وراء الستارة . صمت) يا له من حريق هائل . إنه الآن قد أخذ يخمد . يا للعنة ! لقد أغضبنى هذا الفيرابونت حتى جعلنى أقول : سخيف الكلام ... أيها السيد ، حقا .. (صمت) لماذا أنت صامتة هكذا يا أولجا ؟ (صمت) حان الوقت كى تتخلصى من السخافات وتتصرفى كما لو كنت حية بين الأحياء . أنت هنا يا ماشا . وإيرينا أيضاً . حسناً إذن . ما دمنا هنا كلنا فلنصل إلى اتفاق تام نهائى . ماذا يغضبكن منى ؟ ماذا ؟

أولجـــا : كُفَّ من فضلك يا أندريه . سنتحدث فى هذا غداً (مهتاجة) يا لها من ليلة مريعة !

أندريه : (مرتبكاً جداً) لا تثيرى نفسك . أنا أسألك

وأنا فى تمام الهدوء . ماذا يغضبك منى ؟
قولى لى حالا .
(صوت) فيرشينين ترم .. تم تم .

ماشا : (تقف . بصوت عال) ترا تاتا (لأولجا) وداعاً يا أولجا وليرعك الله . (تختفى وراء الستار وتقبل إيرينا) طاب نومك . طاب وقتك يا أندريه . اذهب الآن ، فإنهما متعبتان ... إشرح لهما غداً ...

(تخرج)

أندريه : سأقول شيئاً . وأنصرف .. فوراً . أولا ، أنتما غاضبتان على ناتاشا زوجتى لأمر ما . لاحظت هذا من أول يوم لزواجنا . مع أن ناتاشا امرأة جميلة ونزيهة وصريحة وشريفة — هذا رأيى . إننى أحب زوجتى وأحترمها ، إفهمن هذا ، إننى أحترمها وأصرُّ على أن يحترمها الآخرون كذلك . أكرر أنها امرأة نزيهة وشريفة وكل انتقاد منكن لها هو ببساطة سخيف .. (صمت) ثانياً يبدو لى أنكن غاضبات لأننى لست أستاذاً فى الجامعة ، وأننى لا أشتغل بالبحث . ولكننى أشتغل فى المجلس الاقتصادى المحلى ، وأنا أيضاً عضو فى

مجلس الناحية . وأعتبر أن لعملى فى الناحيتين القيمة والسمو نفسيهما اللذين تضفيهما خدمة العلم . أنا عضو فى مجلس الناحية ، وأحب أن تعلمن أننى فخور بهذه العضوية (صمت) ثالثاً .. هناك شىء آخر وددت أن أحدثكن فيه . لقد رهنت المنزل دون إذن منكن .. وأنا فى هذا مخطئ وأرجو أن تسامحننى . لقد جرتنى إلى هذا الخطأ الديون . علىّ خمسة وثلاثون ألف روبل . أنا لا ألعب الورق الآن .. هجرته منذ زمن طويل ولكن أهم ما يشفع لى عند نفسى هنا : هو أنكن تستندن إلى معاش ، فى حين أنه لا معاش لى . إن مرتبى هو ...

كوليجين : (بالباب) هل ماشا هنا ؟ (فى اضطراب) أين ذهبت ؟ هذا غريب . (يخرج) .

أندريه : هن لا يسمعن . ناتاشا امرأة رائعة شريفة . (يتمشى فى أرجاء المكان فى صمت ثم يقف) حين تزوجت ظننت أننا سنكون سعداء كلنا .. ولكن يا إلهى (يبكى) يا عزيزاتى ، يا شقيقاتى العزيزات لا تصدقننى ، لا تصدقننى (يخرج) .

(صفارة الحريق . المسرح خال)

إيرينـا : (خلف الستارة) أولجا ، من يدق الأرض ؟

أولجــــا : دكتور إيفان رومانوفيتش . إنه ظمآن للشراب.

إيرينــا : يا لها من ليلة قلقة . (صمت) أولجا (تطل من وراء الستار) هل سمعت ؟ إنهم سيأخذون منا لواء الجيش . سينقلونه إلى مكان بعيد .

أولجــــا : مجرد إشاعة .

إيرينــا : وإذن فسنترك وحدنا .. يا أولجا .

أولجــــا : ثم ماذا ؟

إيرينــا : يا أختى العزيزة الحبيبة ، إننى أقدر ، أننى أعلى قدر البارون . إنه رجــل رائع . سأتزوجه . سأرضى بزواجه حتى أذهب إلى موسكو . أتوسل إليك أن نذهب : ليس هناك ما هو خير من موسكو على وجه الأرض ! نذهب يا أولجا ، لنذهب !

« ستــار »

الفصل الرابع

(الحديقة العتيقة فى منزل آل بروسوروف .. ممر طويل يحف به صف من شجر الشربين . فى نهايته النهر .. فى الناحية البعيدة للنهر غابة ، إلى اليمين شرفة المنزل . على مائدة فى الشرفة زجاجات وأوانٍ للشراب .. واضح أن قدراً كبيراً من الشمبانيا قد استهلك للتو . الوقت ظهراً . بين الحين والحين يجتاز المارة الحديقة من الطريق إلى النهر . ينطلق خمسة من الجنود مسرعين عبر الحديقة . يرى تشيبيوتيكين جالساً فى مقعد وثير ، وعليه علامات الارتياح . ويظل فى سعادته هذه حتى نهاية الفصل وهو ينتظر أحـــداً يدعوه ، ويلبس قلنسوة مرتفعة فى أحد أجزائها ويحمل عصا . إيرينا ومعها كل من كوليجين ، لابساً صليباً يتدلى من رقبته ، وقد حلق شاربه ، وتيوزينباخ ، واقفون فى الشرفة يودعون فيدوتيك ورود ، وهما بسبيل النزول إلى الحديقة . كلا الضابطين فى رداء الخدمة الرسمى)

تيوزينباخ : (يتبادل القبل مع فيدوتيك) أنت رجل طيب . قد كنا على أتم وفاق معك . (يتبادل القبل

مع رود) مرة أخرى . مع السلامة ، أيها الرجل الكريم .

إيرينـــا : إلى اللقـــاء !

فيدوتيك : ليس إلى اللقاء . بل وداعاً . لن نلتقى مرة أخرى !

كوليجين : من يدرى ! (يمسح عينيه ويبتسم) هأنذا قد بدأت البكاء !

إيرينـــا : سنلتقى ثانية ، ذات يوم .

فيودتيك : بعد عشر سنوات ، أو خمس عشرة سنة ؟ لن يعرف أحدنا الآخر إذ ذاك . سنقول : « كيف حالك ؟ » فى برود ... (يلتقط صورة) لا تتحركوا . مرة أخرى ، للمرة الأخيرة .

رود : (يعانق تيوزينباخ) لن نلتقى ثانية (يقبل يد إيرينا) شكراً لكل ما بذلتيه لنا .. شكراً لكل ما بذلتيه !

فيودتيك : (فى أسى) لا تتعجل الرحيل هكذا !

تيوزينباخ : سنتقابل بمشيئة الله . اكتب لنا .. ضرورى .

رود : (ينظر حواليه فى الحديقة) وداعاً أيتها الأشجار . (يصيح) يوهو ! (صمت) وداعاً أيها الصدى !

كوليجين : أطيب الأمانى لكما . تزوجا فى بولندا .

ستأخذك زوجتك البولندية بين ذراعيها وتقول لك : « كوتشانكو » أى يا حبيبى ... !
(يضحك)

فيدوتيك : (ينظر فى ساعته) بقى أقل من ساعة . سوليني هو الوحيد بين أفراد بطاريتنا الذى يسافر بالمركب ، أما الباقون فيذهبون مع الجزء الرئيسى للواء . اليوم تسافر ثلاث بطاريات ، ومثلها غداً ، ثم تضبح البلدة هادئة مطمئنة .

تيوزينباخ : ومملة إلى حد مريع .

رود : وأين ماريا سيرجيفنا ؟

كوليجين : ماشا فى الحديقة .

فيدوتيك : نحب أن نودعها .

رود : طاب وقتكم .. لا بد أن أذهب . وإلا فسآخذ فى البكاء (يعانق كوليجين وتيوزينباخ بسرعة ويقبل يد إيرينا) كنا سعداء هنا .

فيدوتيك : (لكوليجين) خذ هذا التذكار منى . دفتر مذكرات وقلم ... ستذهب إلى النهر من هنا ...
(ينتحيان جانباً ويلتفتان حواليهما)

رود : (يهتف) يوهو .

كوليجين : (يهتف) وداعاً .

(فى خلفية المسرح يتقابل فيودتيك ورود مع

ماشا يودعانها ويخرجان معاً)

إيرينـــا : ذهبا .

(تجلس على آخر درجة من درج الشرفة) .

تشيبيوتيكين: نسيا أن يودعانى .

إيرينـــا : ولم ؟

تشيبيوتيكين: لا أدرى كيف ، ولكننى أنا نفسى نسيتهما . على كل حال سأراهما ثانية قريباً . إننى راحل غداً . أجل، بقى يوم واحد فقط . سأحال إلى المعاش فى العام القادم ، وسأعود إلى هذا المكان ، وأختم حياتى قربكم . أمامى عام واحد قبل المعاش ... (يضع صحيفة فى جيبه . ويخرج أخرى) سآتى هنا وسأغير حياتى تغيراً كلياً . سأكون هادئاً جداً ، مريحاً محترما .

إيرينـــا : أجل من واجبك أن تغير حياتك أيها العزيز . بطريقة أو بأخرى .

تشيبيوتيكين: أجل . أحس ذلك . (يغنى فى خفوت) تارارا بوم داى .

كوليجين : لن نصلح من شأن إيفان رومانوفيتش أبدا . لن نستطيع إصلاحه أبدا .

تشيبيوتيكين : آه . لو وضعتنى تحت رعايتك ! إذن لصلح حالى .

إيرينــا : لقد حلق فيودور شاربه ! لا أطيق النظر إليه بعدها .

كوليجين : وما الضرر من هذا ؟

تشيبيوتيكين : لو لم أخش أن أبدو سيء الأدب لقلت لك رأيي في وجهك المنفر .

كوليجين : إنها العادة . إنها المودة modus vivendi . أسلوب الحياة الجديدة . إن مديرنا حليق اللحية والشارب ، لهذا قررت أنا أيضاً ، حينما رقيت إلى رتبة مفتش ، أن أحلق شاربي. لا أحد يحب منظري الجديد ، ولكني لا أبالي . أنا راض بما أفعل .. سواء أكان لي شارب أم لم يكن .. فأنا راض .

(يجلس خلف المسرح . يدفع أندريه أمامه عربة أطفال بها رضيع نائم) .

إيرينــا : إيفان رومانوفيتش ، بالله أخبرني فأنا قلقة إلى حد مريع . إنك كنت خارج البيت ليلة الأمس ، قل لي : ماذا حدث ؟

تشيبيوتيكين : ماذا حدث ؟ لا شيء . مسألة تافهة تماماً (يقرأ الصحيفة) لا أهمية لها !

كوليجين : يقال إن سوليني والبارون قد تقابلا أمس بالطريق قرب المسرح .

تيوزينباخ : اسكت ! أى حق لك .. (يحرك يديه فى الهواء ويدخل إلى المنزل) .

كوليجين : قرب المسرح .. شرع سوليني يسيء إلى البارون ففقد هذا سيطرته على نفسه وقال له كلاماً مهيناً ...

تشيبيوتيكين : لا أدرى .. المسألة كلها كلام فارغ . «فياسكو» .

كوليجين : فى أحد الفصول المدرسية كتب المدرس على مقالة لتلميذ عبارة «فياسكو»، فلم يفهم التلميذ . ظنها كلمة لاتينية لا يعرفها (يضحك) أمر مضحك للغاية . يقولون إن سوليني يحب إيرينا ، ويكره البارون .. وهذا أمر طبيعى ، إيرينا فتاة رقيقة . بل إنها تشبه ماشا فى أنها بنت مفكرة .. غير أنك يا إيرينا أرق منها شعوراً ولو أن شخصية ماشا هى الأخرى طيبة جداً . أنا مغرم بماشا كثيراً .

(تسمع صيحات « يوهو » خلف المسرح)

إيرينا : (ترتجف) يبدو أن كل شيء يفزعنى اليوم (صمت) لقد أعددت كل شيء ، وسأرسل حاجاتى بعد الغداء ، سأتزوج البارون غداً ، وغداً أيضاً نذهب إلى معامل الطوب ، وفى

اليوم التالى أذهب إلى المدرسة ، وتبدأ الحياة .. الحياة الجديدة وسيعيننى الله ! حينما اجتزت اختبار الحصول على وظيفة مدرسة ، بكيت فرحاً وامتناناً ... (صمت) ستصل العربة فى دقائق لتنقل حاجاتى ...

كوليجين : لأمر ما ، يبدو لى كل هذا وهماً وليس حقيقة . كأنما هو مجرد أفكار وليس شيئاً جدياً . ومع هذا أتمنى لك السعادة من كل قلبى .

تشيبيوتيكين : (فى عاطفة عميقة) يا فتاتى الرائعة ، العزيزة ، الغالية . لقد سبقتنى بمراحل ، فلن أستطيع بعد أن ألحق بك . لقد تركتنى وراءك طائراً مهاجراً أصابه الكبر ، فليس يستطيع الطيران . طيرى أنت يا عزيزتى ، وليكن الله فى عونك ! (صمت) من المؤسف حقا أنك حلقت شاربك يا فيدور اليتش .

كوليجين : كفَّ عن هذا الهذر ! (يزفر) اليوم يرحل الجنود ، ويعود كل شىء كما كان قبل مجيئهم . مهما قال الناس ، فإن ماشا امرأة طيبة شريفة . إنى أحبها كثيراً ، وأشكرَ الله لأنها كانت من نصيبى .· الناس يختلفون فيما ينتهى إليهم من حظوظ . هناك شخص يدعى كوسيريف .

يعمل فى مصلحة الضرائب هنا . لقد كان زميلى فى المدرسة ، ثم طرد من السنة الخامسة لأنه لم يفهم بالمرة عبارة ut consecutivum اللاتينية . إنه مفلس الآن وصحته سيئة جداً . وحين أقابله أقول له : « كيف حالك يا ut consecutivum » فيجيب : « ut consecutivum تماماً .. ! » ثم يسعل . أما أنا فقد كنت ناجحاً طول حياتى . وأنا سعيد ، بل إننى الآن أحمل صليب ستانيسلاوف من الدرجة الثانية ، وأعلّم الناس كيف يفهمون هذه الـ ut consecutivum بالطبع أنا موهوب .. أكثر موهبة من كثيرين غيرى . ولكن السعادة لاتنبع من المواهب وحدها .

(يسمع لحن « صلاة العذراء» يعزف على البيانو داخل المنزل)

إيرينـــا : فى مساء الغد لن أسمع « لحن صلاة العذراء هذا » ولن أقابل بروتوبوبوف (صمت) بروتوبوبوف موجود الآن فى غرفة الجلوس . لقد جاء اليوم .

كوليجين : ألم تعد الناظرة بعد ؟

إيرينـــا : لا ، لقد أرسلوا فى طلبها . لو تدرى كم هو

عسير عليّ أن أعيش وحدى ، دون أولجا ...
إنها تسكن بدار المدرسة الثانوية . هى ناظرة
المدرسة الآن .... وهى مشغولة بشئونها طيلة
اليوم ، وأنا هنا وحيدة ، أشعر بالملل ، لاأجد
ما أعمله ، حتى لقد كرهت الغرفة التى أعيش
فيها .. لقد عقدت العزم . ما دمت لا أستطيع
السفر إلى موسكو ، فلا مفر مما هو وشيك
الحدوث .. إنه القدر . ولا أستطيع له دفعاً .
إنها مشيئة الله ، وهذا هو الواقع . لقد تقدم
إلىّ نيكولاى لفوفيتش يخطبنى ... فماذا كنت
فاعلة ؟ فكرت فى الأمر وعقدت العزم . إنه
رجل كريم العنصر إلى حد يدعو إلى الاستغراب..
وفجأة شعرت بروحى ينمو له جناحان .
وشملتنى السعادة ، وأحسست بالنشوة فى
قلبى ، وعادت إلىّ الرغبة فى العمل ، العمل ..
ولكن شيئاً حدث لى بالأمس ، وفزعاً
غامضاً نشر ألويته على نفسى .

تشيبيوتيكين : هذا كلام فارغ .

ناتاشا : (عند النافذة) الناظرة .

كوليجين : جاءت الناظرة .. لنذهب (يدخل مع إيرينا إلى البيت) .

تشيبيوتيكين : (مغنياً) هذا يوم غسيلى .. تارا را بوم داى .
(تظهر ماشـــا وتقترب ويدفع أندريه عربة الأطفال فى خلفية المسرح)

ماشا : ها أنت ذا جالس هنا ، ولا عمل لك .

تشيبيوتيكين : وما الضرر ؟

ماشا : (تجلس) . لابأس ... (صمت) هل أحببت أمى حقاً ؟

تشيبيوتيكين : كثيراً .

ماشا : وهل كانت تحبك ؟

تشيبيوتيكين : (بعد فترة) لا أذكر .

ماشا : هل رجلى هنا ؟ اعتادت طباختنا مارتا كلما أرادت السؤال عن زوجها أن تسميه رجلى .. هل رجلى هنا إذن .

تشيبيوتيكين : لم يعد بعد .

ماشا : حينما يلتقط المرء سعادته فى قطع صغيرة ، فى لقيمات ، ثم يفقدها كما فعلت أنا ، يصبح بالتدريج خشن الطبع ، ممروراً . (تشير إلى صدرها) إننى أغلى هنا . (تنظر إلى أندريه وعربة الأطفال) إليك أخى ... لقد خيب كل آمالنا فيه : ذات مرة كان هناك جرس كبير ، اشتغل ألف نفر فى إقامته ، وصرف

على صنعه مال كثير ، وجهد كبير . وفجأة سقط الجرس وتحطم . فجأة وبلا سبب واضح. إن مثل أندريه كمثل هذا الجرس .

أندريه : إلى متى يحدثون هذا الصوت المزعج فى البيت ؟ إنه مريع .

تشيبيوتيكين : سرعان ما ينتهون (ينظر إلى ساعته) ساعة من طراز عتيق . إنها تدق . (يملأ الساعة ويجعلها تدق) البطاريات الأولى والثانية والخامسة ترحل فى الساعة الواحدة بالضبط . (صمت) وأنا أرحل غداً .

أندريه : نهائياً ؟

تشيبيوتيكين : لا أدرى .. ربما عدت بعد عام . الشيطان وحده يعلم ... لا يهم . (يسمع صوت عزف على الهارب والكمان) .

أندريه : ستخلو المدينة شيئاً فشيئاً . سنصبح وكأنما وضعوا علينا ناقوساً من زجاج . (صمت) حدث شيء بالأمس قرب المسرح ، البلدة كلها تعرفه إلا أنا .

تشيبيوتيكين : لا شيء . مسألة تافهة . جعل سوليني يضايق البارون ، ففقد هذا أعصابه وأهانه ، حتى اضطر سوليني إلى دعوته للمبارزة (ينظر إلى ساعته) حان وقت المبارزة فيما أظن ...

الساعة الثانية عشرة والنصف ، فى الغابة العامة .. تلك التى تراها من هنا عبر النهر ... طاخ طوخ (يضحك) سوليني أقنع نفسه بأنه ليرمونتوف آخر ، بل لقد أخذ يكتب الشعر . وهذا كله جميل ، غير أنه يسرف على نفسه ؛ فهذه هى المرة الثالثة التى يتبارز فيها .

ماشا : من ؟

تشيبيوتيكين : سوليني .

ماشا : والبارون ؟

تشيبيوتيكين : ماذا عن البارون ؟ (صمت) .

ماشا : كل شىء فى رأسى مختلط . ولكنى أرى وجوب منع المبارزة . ربما جرح سوليني البارون أو قتله .

تشيبيوتيكين : البارون رجل طيب بالطبع ولكن ماذا يهم إن نقص فى العالم بارون أو زاد عليه آخر ؟ أى تغيير يمكن أن يحدث فى العالم ؟ الأمر فى الحالين سواء . (يهتف أحدهم من وراء الحديقة . « هو ... ىى هللاو ») انتظرى . هذا سكفورتسوف يصيح . إنه واحد من المرافقين فى المبارزة . هو يركب قارباً (صمت) .

أندريه : فى رأيى أن الاشتراك فى المبارزة أو حتى حضورها ، ولو بوصف المرء طبيباً عمل غير أخلاقى .

تشيبيوتيكين : هذا ما يبدو لنا فقط .. نحن لا وجود لنا . ليس على الأرض شىء . إننا لا نحيا حقاً ، بل نتوهم أننا نحيا . على كل حال ، أترى هذا يهم أحداً ؟

ماشا : أنت تتكلم وتتكلم طول النهار ... (ذاهبة) نعيش فى بلد يوشك الثلج أن يسقط عليه فى أية لحظة ، ومع ذلك تأخذ فى الثرثرة . (تتوقف) لن أدخل المنزل ، لا أستطيع . أخبرنى إذا ما حضر فيرشينين . (تتمشى عبر طريق فى الحديقة) الطيور المهاجرة أخذت تطير (تنظر إلى السماء) إنها بجعات أو إوز . أيتها المخلوقات العزيزة السعيدة (تخرج) .

أندريه : سرعان ما يخلو منزلنا من الناس . سيذهب الضباط ، وأنت نفسك ذاهب ، وأختى ستتزوج ، ولن يبقى بالمنزل سواى .

تشيبيوتيكين : وزوجتك ؟

(يدخل فيرابونت ومعه بعض الوثائق .)

أندريه : الزوجة ليست إلا زوجة . إنها شريفة ومهذبة

لاجدال ، وعطوف ، ومع كل هذا فإن فى طبيعتها شيئاً يجعلها تنحط فتصبح حيواناً تميئاً ، أعمى ، بل مشوهاً من بعض الوجوه . على كل حال هى ليست رجلا . أقول لك هذا كصديق ، فأنت الوحيد الذى أعرى أمامه روحى . إنى أحب ناتاشا . هذا صحيح . ولكنها تبدو فى بعض الأحيان سوقية إلى حد بعيد . إذ ذاك أجدنى ضائع النفس ، ولا أفهم لماذا أحبها كل هذا الحب ، أو على أقل تقدير لماذا أحببتها يوماً ما .

تشيبيوتيكين : (ينهض) إنى راحل غداً أيها العزيز ، وربما لا يقدر لنا أن نلتقى ثانية ، فإليك إذن نصيحتى ضع قبعتك على رأسك وامسك فى يدك عصاك وارحل ... امض فى طريقك ، امض دون أن تنظر وراءك ، وكلما بعدت بك الشقة كان ذلك أفضل .

(يعبر سولينى خلفية المسرح ومعه ضابطان . يرى تشيبيوتيكين ، ويلتفت إليه ، بينما يواصل الضابطان المسير)

سولينى : حان الوقت ، يا دكتور . الساعة الآن فى منتصف الواحدة . (يصافح أندريه) .

تشيبيوتيكين : انتظر لحظة . فقد برمت بكم جميعاً . (لأندريه) لو سأل عني أحد قل إنني سأعود عما قليـــل (يزفر) أوه . أوه . أوه .

سوليني : « وحتى الزفرات ما ملك أن يطلقها ، فقد برك عليه الدب بكل ثقله » (يتجه إليه) لماذا تنوح هكذا ، أيها العجوز ؟

تشيبيوتيكين : اسكت !

سوليني : كيف صحتك ؟

تشيبيوتيكين : (غاضباً) ليس هذا من شأنك .

سوليني : العجوز مغضب بلا سبب . لن أستغرق طويلا . سأصطاده كما تصاد القطا . (يخرج زجاجة العطر ويضمخ يديه) لقد أفرغت على يدى زجاجة كاملة اليوم وما تزال لهما رائحة . رائحة جثة هامدة (صمت) أجل . أتذكر هذين البيتين :

« وذلك العاصي يطلب العاصفة
كأن في العاصفة راحة لفؤاده ! »(1)

تشيبيوتيكين : أجل . « وحتى الزفرات ما ملك أن يطلقها فقد برك عليه الدب بكل ثقله » .

(يخرج مع سوليني . تسمع صيحات . يدخل أندريه ومعه فيرابونت)

(1) من قصيدة الشاعر ليرمونتوف .

فيرابونت : وقع هذه الأوراق .

أندريه : (مهتاجاً) ابعد ! اذهب ! من فضلك !

(يخرج ومعه عربة الأطفال)

فيرابونت : ما خلقت الأوراق إلا لتوقع .

(يتراجع إلى خلف المسرح . تدخل إيرينا ومعها تيوزينباخ مرتدياً قبعة من الخوص . يعبر كوليجين المسرح صائحاً) كو ى ى ، ماشا كو ى ى .

تيوزينباخ : يبدو أنه الوحيد الذى سره أن يرحل الجنود .

إيرينـــا : هذا أمر طبيعى . (صمت) ستخلو علينا البلدة .

تيوزينباخ : يا عزيزتى ، عما قريب أعود .

إيرينـــا : وأين تذهب ؟

تيوزينباخ : يجب أن أنزل البلد ، ثم أودع المسافرين .

إيرينـــا : هذه ليست الحقيقة يا نيكولاى ، لماذا أنت شارد الذهن اليوم ؟ (صمت) ماذا حدث قرب المسرح ليلة الأمس ؟

تيوزينباخ : (يتحرك فى نفاد صبر) سأعود إليك بعد ساعة ، وأحظى بقربك مرة أخرى . (يقبل يدها) يا حبيبتى .. (يتفحص وجهها) مضت خمس سنوات الآن منذ وقعت فى

غرامك ، وحتى الآن لا أستطيع أن أعتاد هذا الحب . إنك تزدادين فى عينى جمالا كل يوم . يا لشعرك الحبيب ، العجيب ! يا لعينيك ! غداً سآخذك وأرحل . وسنعمل معـاً ، ونصبح أثرياء . وستتحقق كل أحلامى . وستصبحين سعيدة . شيء واحد ، شيء واحد فقط ينغصنى : فأنت لا تحبيننى !

إيرينـا : ليس هذا فى مقدورى . سأكون زوجتك ، وسأخلص لك . وأطيعك ، ولكننى لا أستطيع أن أحمل نفسى على حبك . فماذا أفعل ! (تبكى) لم أجرب الحب مرة واحدة فى حياتى . طالما فكرت فيه ، وشغلت به ليل نهار ، ولكن روحى ظلت كبيانو كبير أغلق مرة وفقد مفتاحه . (صمت) أنت تبدو تعساً .

تيوزينباخ : لم أنم الليلة الماضية . ليس فى حياتى من الفظائع ما يخيفنى . هذا المفتاح المفقود وحده هو الذى يعذب روحى ، ويحرمنى النوم . قولى لى شيئاً (صمت) قولى لى شيئاً ...

إيرينـا : ماذا أقول ، ماذا ؟

تيوزينباخ : أى شيء

إيرينـا : كفى ! كفى ! (صمت) .

تيوزينباخ : من الغريب أن الأشـياء التافهة تبـدو لنا أحياناً ، بلا سبب واضح مهمة ، وذات معنى . وفى أول الأمر نضحك من هذه الأشياء ونظنها بلا أهمية . ولكننا نظل نهتم بها مع هذا ، ولا نجد فى أنفسنا القدرة على أن نوليها ظهورنا. أوه .. دعينا من كل هذا . إنى سعيد . أحس كما لو كنت أرى هذه الأشجار من الشربين والاسفندان والزان لأول مرة فى حياتى ، وهى بدورها تنظر إلى فى فضول وتوقع . يا لجمال الأشجار ، ويا لجمال الحياة قربها ، لو أننا فقط تأملناها ! (تسمع صيحة كو — ىى عن بعد) آن أن أنصرف .... بين الأشجار واحدة جفت فيها الحياة ، ولكنها ما تزال تتمايل مع الأخريات إذا ما داعبها النسيم . هكذا أكون إذا ما مت . سأظل أحيا على نحوٍ ما . طاب وقتك ، يا عزيزتى ... (يقبل يديها) الأوراق التى أعطيتنيها موجودة على مكتبى تحت النتيجة .

إيرينـــا : سأذهب معك .

تيوزينباخ : (فى عصبية) لا . لا . (يذهب مسرعاً ثم يتوقف عند الممشى فى الحديقة) إيرينا .

إيرينـــا : نعم .

تيوزينباخ : (لا يدرى ماذا يقول) . لم أشرب قهوتى اليوم قولى لهم أن يُعِدّوا لى قدحاً . (يذهب مسرعاً .. تقف وقد غابت فى تفكير عميق . ثم تذهب إلى خلفية المسرح وتجلس على أرجوحة . يأتى أندريه ومعه عربة الأطفال ويظهر أيضاً فيرابونت)

فيرابونت : أندريه سيرجيفيتش : هذه ليست أوراقى أنا ، إنها أوراق الحكومة . أنا لم أصنعها .

أندريه : ماذا حدث لماضىّ ، وأين ذهب ؟ قد كنت ذات يوم شاباً ، وسعيداً وماهراً . كانت أحسن الأفكار تأتينى ، أو أصنعها أنا . وكان الحاضر والمستقبل يبدوان لى مليئين بالأمل . لماذا ، ونحن لم نكد نبدأ حياتنا ، يخبو فينا النور ونشيب ولا نعود نبعث على الاهتمام ؟ لماذا نصبح كسالى ، لانبالى بالأشياء ، لاجدوى منا ولا سعادة لنا ... هذه البلدة ظلت تعيش مائتى عام وفيها مائة ألف نسمة ليس بينهم من يختلف عن أخيه . ليس بينهم الآن ، ولم يكن فيهم قط ، رائد يقود الناس ، أو عالم واحد ، أو فنان ، أو رجل له أقل امتياز ،

يحمل غيره على أن يحسدوه أو يثير فيهم رغبة متقدة لمحاكاته . إنهم لا يفعلون شيئاً سوى أن يأكلوا ويشربوا وينامو ... وبعد هذا يموتون . ثم يولد خلق جدد، يأكلون هم أيضاً، ويشربون وينامون ، وحتى لا يصيبهم العته من فرط الفراغ ، يحاولون ملء حياتهم باغتياب الناس وشرب الفودكا ولعب الورق ورفع القضايا فى المحاكم . والزوجات منهم يخدعن أزواجهن . والأزواج يكذبون ، ويتظاهرون بأنهم لا يرون شيئاً ولا يسمعون شيئاً ، فيمتد الشر إلى الأولاد ، يحيق بهم فلا يجدون منه مفراً ، فتخبو الشرارة المقدسة فى أرواحهم ، ويصبحون جثثاً تثير الرثاء ، وتتشابه أحوالها وصفاتها ، مثلهم فى هذا مثل آبائهم وأمهاتهم . (لفيرابونت فى غضب) ماذا تريد ؟

فيرابونت : إيه ؟ أوراق أريد أن توقعها .

أندريه : لقد ضقت بك .

فيرابونت : (يعطيه الأوراق) فراش قاعة المحكمة قال لى : الآن ، إن الشتاء الماضى سجل مائتى درجة من من الصقيع فى بطرسبورج .

أندريه : الحاضر كئيب ، ولكن المستقبل أمامى يبدو لى

طيباً ! كلما فكرت فيه أحسست بالانطلاق . ألمح النور على مبعدة وأرى بشير الحرية . أرى نفسى وأولادى وقد تحررنا من العجب والبيرة وأكل الإوز المطبوخ بالكرنب ، ومن النوم عقب الغداء ، ومن البطالة المهينة .

فيرابونت : وقال أيضاً : إن ألفى رجل تجمدوا حتى الموت . قال إن الناس ذعروا فى بطرسبورج أو موسكو. لا أدرى أيهما .

أندريه : (تغلبه عواطفه) يا شقيقاتى العزيزات ، يا شقيقاتى الجميلات ! (يبكى) ماشا ، أختى ...

ناتاشا : (عند النافذة) من يتكلم بصوت عال هكذا ؟ أهو أنت يا أندريه ؟ أنت ستوقظ صوفى الصغيرة [1] Il ne faut pas faire du bruit, là, Sophie est dormie déjà. Vous êtes un ours. (بغضب) إذا أردت أن تتحدث فاعط العربة والطفل لشخص آخر – فيرابونت خذ العربة .

فيرابونت : حاضر يا ست (يأخذ العربة)

أندريه : (مرتبكا) أنا أتحدث بهدوء .

(١) لا تحدث ضجة ، إن صوفى نائمة الآن . ما أنت إلا دبة .

ناتاشا : (عند المائدة . تداعب طفلها) بوبيك ! بوبيك يا شقي ! بوبيك يا عفريت يا صغير !

أندريه : (ينظر فى الأوراق) طيب . سأنظر فى هذه الأوراق وأوقعها إذا لزم الأمر ، وتستطيع بعد هذا أن تعود بها إلى المكتب ...

(يدخل البيت وهو يقرأ الأوراق . يأخذ (فيرابونت العربة إلى أقصى الحديقة)

ناتاشا : (عند النافذة) بوبيك . ما اسم ماما ؟ ياه ، ياه ! ومن هذه ؟ هذه عمتك أولجا . قل لعمتك « كيف حالك يا أولجا » !

(اثنان من الموسيقيين الجوالة . رجل وامرأة يعزفان الكمان والهارب ، يخرج من البيت فيرشينين وأولجا وأنفيسا ، يستمعون لحظات فى صمت . تلحق بهم إيرينا) .

أولجا : لقد أصبحت حديقتنا طريقاً عامًّا يعبره الناس راجلين وراكبين.. داده : أعطى الموسيقيين شيئاً

أنفيسا : (تعطيهما نقوداً) اذهبا على بركة الله .

(ينحني الموسيقيان تحية ويذهبان) مسكينان . أنتما تعزفان بمعدة خالية . (لإيرينا) كيف حالك يا إيرينا ! (تقبلها) هأنذا ، ياصغيرتى ، لازلت حية ! أعمل فى المدرسة الثانوية ، مع

صغيرتى أولجا ، وفى شقتها الحكومية . لقد أعاننى الله فى شيخوختى . رغم ذنوبى الكثيرة ، أحسن الله إلىّ ، فأصبحت أعيش كما لم أعش من قبل .. شقة واسعة ملك للحكومة ولى غرفة بأكملها ، بها سرير ، كلها ملك للحكومة . إننى أصحو فى الليل ، وأشعر ، شكراً لله وللعذراء ، بأننى أسعد من فى الوجود !

فيرشينين : (ينظر إلى ساعته) إننا موشكون على الرحيل . أولجا سيرجيفنا ، آن أن أنصرف . (صمت) أتمنى لك كل .. كل .. أين ماريا سيرجيفنا ؟

إيرينـــا : إنها فى مكان ما فى الحديقة . سأذهب لأبحث عنها.

فيرشينين : لو تكرمت . لا وقت لدى .

أنفيســـا : سأذهب أنا أيضاً لأبحث عنها (تصيح) ماشا كو — ى ى (تخرج مع إيرينا إلى الحديقة) كو — ى ى ، كو — ى ى

فيرشينين : كل شىء إلى نهاية . ونحن أيضاً لا مفرّ من أن نرحل . (ينظر إلى ساعته) أقامت لنا البلدة حفلة إفطار للوداع ، وقدمت لنا الشمبانيا، وألقى العمدة خطاباً . أكلت واستمعت ، ولكن روحى كانت هنا طول الوقت .. (ينظر حواليه فى الحديقة) لقد اعتدت الآن صحبتكم .

أوجـــــا : ألن نتقابل مطلقاً ؟

فيرشينين : الأرجح أننا لن نلتقي (صمت) زوجتي وابنتاي سيمكثن هنا شهرين بعد رحيلي . لو حدث شيء ، ولو احتاج الأمر إلى شيء .

أوجـــــا : طبعاً طبعاً سيكنّ فى أمان ، فلا تقلق (صمت) غداً لن نجد فى البلدة جندياً واحداً . ستصبح الفرقة كلها مجرد ذكرى . وستبدأ حياة جديدة بالنسبة لنا ... (صمت) ولا واحدة من خططنا تحققت . لم أرد أن أصبح ناظرة . ولكنهم عينونى فى المنصب رغم هذا .. والنتيجة أنه لا فرصة أمامنا للذهاب إلى موسكو ...

فيرشينين : هيه .. أشكركم على كل ما قدمتموه لى . سامحيني إذا كنت ... إذا كنت قد أكثرت من الكلام. سامحيني على هذا أيضاً ، ولا يسوء رأيك فىّ .

أوجـــــا : (تمسح عينيها) لماذا لم تأت ماشا حتى الآن ؟

فيرشينين : ماذا كنت أقول غير هذا فى لحظة الوداع ؟ هل كنت أفلسف الأشياء جميعاً ؟ « يضحك » الحياة ثقيلة الوقع : إنها تبدو لكثيرين منا جامدة ، لا أمل فيها . ومع هذا ، فهى بلا مراء أخذت تخف وطأتها ، ويزداد فيها الوضوح . ويبدو أنه لن يمضى وقت طويل حتى تنجلى

أمامنا تماماً . (ينظر إلى ساعته) آن أن أنصرف ! طالما استنفدت الحروب طاقات البشر ، وملأت حياتهم الغزوات والعدوان والهزيمة . الآن أفلتنا من هذا كله ، تاركين وراءنا رقعة عريضة من الأرض الخراب ، لا نستطيع أن نعمرها حالا . ولكن الإنسانية تبحث عن شيء ما وهي لا بد واجدته . آه لو وجدته بأسرع مما تفعل الآن . (صمت) لو أننا أضفنا التعليم إلى الصناعة ، وضممنا الصناعة إلى التعليم . (ينظر إلى ساعته) آن أن أنصرف .

أولجـــا : ها هي ذي قد أتت .

(تدخل ماشا)

فيرشينين : جئت أقول الوداع .

(تتجه أولجا خطوات إلى الوراء حتى تخلى لهما المكان)

ماشا : (تنظر في وجهه) الوداع (قبلة طويلة)

أولجـــا : لاتفعلا . لاتفعلا (ماشا تبكي في مرارة)

فيرشينين : اكتبي لي .. لا تنسي ! دعيني أذهب . أزف الوقت . خذيها يا أولجا سيرجيفينا ... أزف الوقت ... وتأخرت . (يقبل يد أولجا في انفعال

واضح، ثم يعانق ماشا مرة أخرى، وينصرف عنها)

أوجـــــا : كفى يا ماشا . كفى يا عزيزتى (يدخل كوليجين)

كوليجين : (مرتبكا) لا بأس ، دعيها تبكى ، دعيها يا عزيزتى ماشا ، يا ماشا الكريمة .. أنت زوجتى ، وأنا سعيد مهما حدث ؛ أنا لا أشكوك ولا ألوم . وأوجا على هذا شهيدة ... دعينا نحيا مرة أخرى كما حيينا من قبل، ولن تصدر منى كلمة واحدة أو إشارة ...

ماشا : (تتحكم فى غصص البكاء)

« قرب البحــر شجرة بلوط خضراء
وعليها حلقة من الذهب الوهاج
حلقة من الذهب الوهاج .
لقد فقدت عقلى ..
« قرب البحر . شجرة بلوط خضراء »

أوجـــــا : كفى ياماشا . كفى اعطها شيئاً من الماء .

ماشا : لم أعد أبكى .

كوليجين : إنها لم تعد تبكى . إنها طيبة . (تسمع طلقة على مبعدة)

ماشا : « قرب البحر شجرة بلوط خضراء
وحواليها حلقة من الذهب الوهاج .

شجرة بلوط من الذهب الأخضر »
لقد اختلطت على الألفاظ (تشرب بعض الماء) الحياة مملة . لم أعد أريد شيئاً الآن . سأكون على أحسن حال بعد لحظات ... لا يهم ... ماذا تعنى هذه الأبيات ؟ لماذا تدور فى رأسى هكذا ؟ . لقد اختلطت أفكارى جميعاً . (تدخل إيرينا)

أولجـــا : اهدئى يا ماشا . أرجوك . هيَّا بنا ندخل .

ماشا : (فى غضب) لن أدخل (تغص بالبكاء ، ولكنها تسيطر على عواطفها فوراً) .. لن أدخل المنزل . لن أدخل .

إيرينـــا : لنجلس هنا إذن . ولا نقول شيئاً . إنى راحلة غداً (صمت) .

كوليجين : أمس أخذت هذه السوالف واللحية من تلميذ فى السنة الثالثة (يلبس السوالف واللحية) ألا أشبه المدرس الألمانى؟ (يضحك) أليس كذلك ؟ التلاميذ قوم مسلُّون .

ماشا : أنت فى الواقع تشبه هذا الألمـــانى .

أولجـــا : (تضحك) أجل (تبكى ماشا) .

إيرينـــا : كفى ياماشا .

كوليجين : أشبهه تماماً . (تدخل ناتاشا)

ناتاشا : (للخادم) ماذا ؟ سيجلس ميهائيل إيفانيتش بروتوبوبوف مع الصغيرة صوفى ، ويتكفل أندريه سيرجيفيتش بالصغير بوبيك ... الأولاد متعبون ... (لإيرينا) إيرينا ، خسارة كبيرة أن ترحلى غداً . امكثى أسبوعاً آخر ، أرجوك . (ترى كوليجين وتصرخ . يضحك هذا ويخلع سوالفه ولحيته) كم أفزعتنى ! (لإيرينا) لقد اعتدت صحبتك . فهل تظنين أنه من السهل على أن أفارقك ؟ سأضع أندريه وكمانه فى غرفتك ، ليعزف ما حلا له ! وسأضع صوفى الصغيرة فى غرفته . يا لها من طفلة جميلة رائعة ! يالها من بنيّة ! اليوم نظرت إلىّ بعينيها الجميلتين وقالت : « ماما »

كوليجين : إنها طفلة جميلة ، ولا ريب .

ناتاشا : هذا معناه أن المكان سيخلو لى غداً . (تزفر) أولا سأقطع هذا الصف من أشجار الشربين ثم هذه الاسفندانة . إنها قبيحة المنظر بالليل . (لإيرينا) هذا الحزام لا يلائمك على الإطلاق يا عزيزتى ... لا ذوق فيه ، وسآمر بزرع حشود بعد حشود من الزهور ، وسيضوع عبيرها .. (بقسوة) لماذا توجد هذه الشوكة على المقعد ؟

(تقترب من المنزل فى اتجاه الخادم) لماذا توجد هذه الشوكة على المقعد أقول لك (تصيح) إياك أن تتجاسرى على الرد .

كوليجين : حلمك ! حلمك !

(يسمع عزف مارش عسكرى . ينصت الجميع)

أولجا : إنهم يرحلون .

(يدخل تشيبيوتيكين)

ماشا : إنهم راحلون . طيب طيب .

رحلة سعيدة (لزوجها) لنعد إلى المنزل الآن .

أين معطفى وقبعتى ؟

كوليجين : أدخلتهما . سأحضرهما فى لحظة .

أولجا : أجل .. الآن نستطيع جميعاً أن نعود إلى البيت .. آن الوقت .

تشيبيوتيكين : أولجا سيرجيفينا !

أولجا : ماذا ؟ (صمت) ماذا ؟

تشيبيوتيكين لاشىء .. لا أدرى كيف أخبرك (يهمس لها) .

أولجا (فزعة) غير صحيح ..!

تشيبيوتيكين بل صحيح .. يا لها من ورطة . أنا متعب تماماً بل مستهلك . ولن أقول المزيد (بحزن) ومع ذلك فالأمر سواء !

ماشا ماذا حدث ؟

أولجـــا : (تعانق إيرينا) هذا يوم فظيع .. لا أدرى كيف أقول لك يا عزيزتى ...

إيرينــا ماذا، قولى لى بسرعة، ماذا حدث بحق السماء ؟ (تبكى)

تشبيوتيكين قتل البارون فى المبارزة منذ لحظات .

إيرينــا (تبكى فى خفوت) كنت أعلم . كنت أعلم...

تشبيوتيكين (يجلس على مقعد فى خلفية المسرح) أنا متعب (يخرج أوراقاً من جيبه) .. لتبك النساء (يغنى فى رقة) تارارا . بوم - داى « هذا يوم الغسيل » الأمر كله سواء !

ماشا : (تقف الشقيقات الثلاث مستندات ، الواحدة منهن إلى الأخرى) .

ماشا : شدّ ما تعزف الموسيقى ! إنهم يرحلون عنا . وثم واحد قد تركنا ، تركنا تماماً وإلى الأبد سنظل وحيدات وعلينا أن نبدأ من جديد .. علينا أن نعيش .. نعيش .

إيرينــا : (تضع رأسها على صدر أولجا) سيأتى يوم يعرف فيه الكل لماذا ولأى غرض نتعرض فيه لكل هذا العذاب .. إذ ذاك لن تكون هناك أسرار محجبة . أما الآن فعلينا أن نعيش . علينا أن

نعمل ، نعمل فقط . غداً سأرحل بمفردى وسأعلم الناس ،وأبذل حياتى كلها لمن يحتاجها . نحن الآن فى الخريف وسرعان ما يأتى الشتاء . وسيغطى الثلج كل شىء وسأعمل ، أعمل ...

أولجـــا : (تعانق أختيها) الفرق الموسيقية تعزف بكل مرح ، بكل قوة ، وكل منا شديدة الرغبة فى أن تعيش ! يا إلهى ! سيمضى الزمن ونرحل إلى الأبد ، وينسانا الناس . سينسون وجوهنا ، وأصواتنا ، بل حتى عددنا . ولكن عذابنا هذا سينقلب سعادة لمن يأتون بعدنا . ستسود السعادة والسلام الأرض ، وستذكر الأجيال فى حب وعطف أولئك الذى يحيون الآن ، ويعطرون ذكراهم . يا شقيقتىّ العزيزتين ، إن حياتنا لم تنته بعد ، فلنعش . الموسيقى كثيرة المرح ملآنة بالجذل . يبدو لى أننا سرعان ما نعرف لماذا نعيش ، ولماذا نتعذب ... لو أننا فقط استطعنا أن نعرف ! لو كنا نستطيع أن نعرف !

(تبعد الموسيقى شيئاً فشيئاً. يدخل كوليجين وهو يبتسم فى سعادة ومعه المعطف والقبعة . أندريه يدفع أمامه عربة الأطفال وفيها بوبيك)

تشيبيوتيكين : (يغنى فى رقة) تارا ... را بوم داى . هذا يوم
الغسيل . » (يقرأ فى صحيفة) الأمر كله
سواء ! الأمر كله سواء !

أوجـــــا : لو أننا عرفنا .. لو أننا فقط استطعنا أن نعرف !

(ختـــام)



انطون تشيكوف

روائع
المسرح العالمى
سلسلة مسرحيات
عالمية
بأقلام الصفوة الممتازة
من المترجمين والمراجعين
مع دراسة عميقة
لاتجاه كل كاتب

تحت الطبع :

"٢" سيرانو دى برجراك

تأليف
ادمون روستان
ترجمة
عباس حافظ

"٣" أعمدة المجتمع

تأليف
هنريك إبسن
ترجمة
الأستاذ عزيز سل

ملتزم النشر والتوزيع : الشركة التعاونية للطباعة والنشر